الـفـن القصصي

بيـن التـاريـخ والـحـداثـة

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع الكتاب	أدبي		
عنوان الكتاب	الفن القصصي بين التاريخ والحداثة		
تأليف	هدى عبد اللطيف عريان		
التنضيد	مركز هارون الرشيد للنشر الورقي والرقمي/دمشق		
قياس الكتاب	١٤×٢٠ سم	عدد الصفحات	١٤٠
تصميم الغلاف	عبادة العقاد | ٠٠٩٠ ٥٥٣٠ ٧٩٢ ٧٩٢		

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار غار حراء

دار غار حراء

سوريا - دمشق - الحلبوني - ص . ب : ٢٥٥٠٧

هاتف : ٠٠٩٦٣١١٢٢١٨٥٣٠ - ٠٠٩٦٣١١٢٢١٩٠٣٧

فاكس : ٠٠٩٦٣١١٢٢٣٧٦٠٦ جوال : ٠٠٩٦٣٩٩٢٩٦٧١٠٢

www.gharhira.com - gharhira@gmail.com

ISBN 978-9933-12-284-3

الفن القصصي

بين التاريخ والحداثة

هدى عبد اللطيف عريان

ثقافة بلا حدود

دار غار حراء

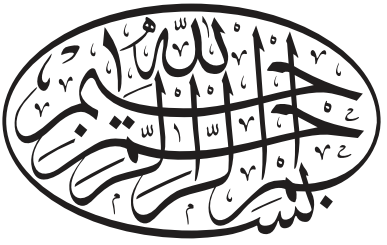
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ولم يجعل له عوجاً، وجعله هدى للناس ونوراً مبيناً.

والصلاة والسلام على قدوة الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن موضوعات القرآن المجيد جامعة وهادفة شاملة لجميع نواحي الحياة، تستهدف سعادة الإنسان ورُشده في الدنيا والآخرة.

ومن هذه الموضوعات الشاملة قصص القرآن التي فيها إرشاد للبشرية وأحكام كثيرة.

وموضوع القصص مترامي الأطراف، متنوع الجوانب يتسع ربع القرآن الكريم، لما فيه من عظاتٍ وعِبرٍ وأهداف وأغراض، ولها ميزات وخصائص وأسرار بلاغية هادية إلى مقاصد شرعية ودينية [1].

ويختلف القصص القرآني عن غيره من القصص التي أَلَّفها البشر من ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، فالقرآن الكريم جعل من

---

(١) مقال للدكتور صاحب إسلام بعنوان " أدب القصة القرآنية " منشور بمجلة " الإيضاح" عام ٢٠١١م.

الفن الأدبي في القصة القرآنية أسلوباً من أصلح الأساليب لخطاب الخاصة والعامة.

كما أنه يقدم كمّاً هائلاً من المعاني بألفاظ وكلمات معدودة. ولذلك لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين، والذين رأوا فيها مَعيناً لا ينضب من الجمال والجلال وقوة التأثير. فالله تعالى يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣].

وسيركّز هذا الكتاب على الفن الأدبي في القصة القرآنية:

وتضمنت خطة البحث على مقدمة وثلاثة فصول كالآتي:

مقدمة

❖ **الفصل الأول**: مفهوم القصة، نشأتها، غايتها.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: القصة: معناها اللغوي والاصطلاحي، ومفهومها القرآني.

المبحث الثاني: القصة في فمِ الإنسان الأول.

المبحث الثالث: القصة العربية في العصر الجاهلي.

المبحث الرابع: القصة طريق إلى العلم والدين عند الإنسان الأول.

❖ **الفصل الثاني**: في ملامح القصة القرآنية ودورها في الدعوة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المبحث الثاني: دور القصة القرآنية في الدعوة الإسلامية.

المبحث الثالث: المزايا التي أكدت على أهمية القصة في الدعوة الإسلامية.

المبحث الرابع: الخصائص العامة للقصة القرآنية.

❖ **الفصل الثالث**: دراسات أدبية وتربوية في القصة القرأنية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أهداف القصة القرآنية وأغراضها.

المبحث الثاني: الميزات الفنية لأسلوب القصة القرآنية.

المبحث الثالث: أنواع القصة القرآنية.

المبحث الرابع: عناصر القصة القرآنية مقارنة بالقصة البشرية.

مفهوم القصة ، نشأتها ، غايتها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: القصة: معناها اللغوي والاصطلاحي، ومفهومها القرآني.

المبحث الثاني: القصة في فمِ الإنسان الأول.

المبحث الثالث: القصة العربية في العصر الجاهلي.

المبحث الرابع: القصة طريق إلى العلم والدين عند الإنسان الأول.

➢ المبحث الأول

القصة: معناها اللغوي والاصطلاحي، ومفهومها القرآني

قبل الخوض في رحاب القصص القرآني، لا بد من فهم المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، والمفهوم القرآني للقصة.

جاء في لسان العرب حول لفظة (**القصة**) ما يلي:

القَصُّ: فعل القاص، إذا قصّ القَصصَ، أي البيان.

والقصة: معروفة، ويقال: في رأسه قصة، يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، أي: نبيّن لك أحسن البيان في قصة يوسف بن يعقوب عليه السلام (١).

القاصّ: الذي يأتي القصة على وجهها، كأنّه يتتبع معانيها وألفاظها، وجمع القاص: قُصّاص.

---

١ – صفوة البيان لمعاني القرآن، تفسير الشيخ حسنين مخلوف، ص٣٠٢. تفسير الجلالين ، ص:٣٠٩.

ويقال: قصصت الشيء، إذا تتبعت أثره، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١]، أي: اتبعي أثره

والقاصّ: يقصّ القصَص لاتّباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً[١].

ويؤكد الرازي[٢] أنما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً، والقصص (هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة).

ويقول صاحب تفسير **"مجمع البيان في تفسير القرآن"** [٣]: القَصَص بالفتح: الخبر المقصوص، ورواية الخبر، وتتبع الأثر، ووُضع موضع المصدر، حتى صار غالباً عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٢٥]. أي: قص عليه أخباره وحدثه بها.

---

١ – لسان العرب، ابن منظور، ط دار المعارف، بدون تاريخ، مادة (ق ص ص). والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزأبادي، ط المكتبة التجارية الكبرى، ط٥، بدون تاريخ. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة (ق ص ص)، المطبعة الخيرية بجمالة مصر، ١٣٠٦هـ. ومختار الصحاح للرازي، ط دار مصر للطباعة. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ط المطبعة العثمانية ١٣١٢هـ.

٢ – التفسير الكبير للفخر الرازي، المطبعة الهندية العصرية ج٢، ط١، سنة ١٩٣٥هـ، ص١٨١ و ٧٠٣.

٣ – مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط دار مكتبة الحياة بيروت ج١، بدون تاريخ.

والقِصص بالكسر: جمع (القصة) التي تكتب[١] ويقال: أقصصت الحديث وقصصته وقصصاً أي: رويته على وجهته، وهو من اقتصصت الأثر: أي اتبعته، أي رجع موسى وفتاه من الطريق يقصان الأثر: أي يتتبعانه في قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤].

وجاء في المفردات للراغب الأصفهاني حول نفس المادة[٢]: " القصّ: تتبع الأثر، يُقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر، والأخبار المتتبعة، وهو مصدر يطلق على ما يُرْوَى من الأخبار، كقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

ويقول الشعراوي[٣]: (إن كلمة (قصة) قد وردت في القرآن الكريم كثيراً لتدلنا على صدق الله في إخبارنا بما في تلك القصص من أحداث ومعان، وحين يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

---

١ – مختار الصحاح، مادة (ق ص ص).

٢ – المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب الأصفهاني، ط دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ – مادة (ق ص ص)، ص٤٠٤.

٣ – قصص الأنبياء، الشيخ محمد متولي الشعراوي، المجلد الأول، ص٢٠-٢٣.

فإن الخالق العظيم يخبر الرسول الكريم أن قصص الإخبار بالرسل السابقين عليه إنما لتقوي عزم الرسول للقيام بمشاق ومهام الرسالة.

فكلمة قصّ وقصص: تعنيان في القرآن الكريم، تتبع الخبر والحديث على وجه الحق والصدق منه، وهو تتبع لا مجال قط للخيال أو المبالغة، كما أنه تتبع لا تقتصر حكمته على الصدق البياني للخبر والصدق التاريخي، وإنما يرتبط دائماً بهذا الصدق أن يكون الخبر القصصي كما يقصه القرآن جزءاً حياً من حركة التاريخ يتنزل الله به أمام أعين المؤمنين وأسماعهم، ليشهدوا ويعوا دلالة السنن التي حكمت مسيرة البشر ومصائرهم في الماضي حكماً علمياً مقنّناً لا تحوّل فيه ولا تبدل.

فالغاية من القصص القرآني إذاً ليست مجرد الإعلام بما حدث من أخبار الأمم والشعوب بالتتبع الصادق لأخبارها، وإنّما الغاية أن يكون هذا القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح الذي يتتبعون به خطى من سلف من للمؤمنين الذين اختاروا الهدى بالله عن علم، ونبذوا الضلالة والإلحاد عن برهان ويقين[1]، كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ

١ - قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، ص٢١١.

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠ – ١٣١].

وبهذا تكون لفظة (القَصَص والقِصص) قد جاءت في القرآن الكريم واسْتُعْمِلَت بكلا معنييها (اللغوي والاصطلاحي).

فاللغوي: جاء في آيات منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤]. أي: اتباعاً.

والاصطلاحي: والذي هو (سرد الحكاية والأخبار عن أحداث) في قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾ [الأعراف: ١٠١]، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣].

وعلى هذا فإن هذه اللفظة استخدمت بنفس معناها اللغوي تقريباً، أي أن هناك علاقة وثيقة بين معناها اللغوي، والمعنى المجازي والاصطلاحي.

فالقِصة: هي نوع من المتابعة سواء بالنسبة إلى القاص نفسه أم المستمع أم القارئ.

والقاصّ: تَتَبَّعَ في سرده لأحداث القصة تسلسلاً معيناً حتى يصل إلى نهايتها، والقارئ- هو الآخر- يتابع المعاني التي يلقيها القاص في ذهنه حتى يصل إلى نتيجتها.

لذا استُعلمت لفظة القصص في الآيات القرآنية للتعبير عن الأحداث الغابرة للأمم السابقة، ولكن ليس لقصد الصدق في تتبع أخبارهم فحسب، بل للوصول إلى الاعتبار والاتعاظ بقصصهم التي وردت في سيرة حياتهم.

بعد هذا التفسير الشامل لمادة (**قَصَصَ**) من اللغويين والمفسرين، للمعنى اللغوي والاصلاحي، والمفهوم القرآني لهذه الكلمة، نجد من يُملي علينا رأياً مغايراً مستنداً بحكمه على استعراضه لبعض القصص القرآني، بأنواعها (التاريخية، والتمثيلية، والواقعية)، ولكنه يضيف لدراسته لوناً آخر "اللون الأسطوري للقصة القرآنية" بدلاً من لون (القصة الواقعية)، ويقرّ بأن القصة الدينية ليست إلا لوناً من ألوان القصص الأدبي، ويخالف بذلك آراء اللغويين والمفسرين لكلمة (**قَصَصَ**) قائلاً: (إننا ونحن ندرس القصص الفني لا نستطيع أن نقف عند حدود تفسير اللغويين والمفسرين لهذه الكلمة، ذلك لأننا حين نذكر قصة إنما نقصد شيئاً آخر أهم من (متابعة الخبر أو الحدث)، نقصد ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيّل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود، ولكن الأحداث التي دارت حوله في القصة لم تقع، أو وقعت للبطل، ولكنها نُظمت في القصة على أساس فني بلاغي، فَقَدَّمَ بعضها وأخّر آخر، وذكر بعضها وحذف آخر، أو أضيف إلى الواقع بعض لم يقع، أو بُولغ في التصوير

إلى الحد الذي يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية المألوفة، ويجعلها من الأشخاص الخياليين)[١].

ذلك ما يقصده عندما يلفظ لفظة قصة في الميزان الأدبي، وهذا هو الذي يقصده من دراسته للقصص الفني في القرآن الكريم في بحثه.

وهو مخطئ بذلك، فقد جنح بخياله بتصور بعيد عن جادة الصواب والمنطق السليم لتفسير (فنية القصة القرآنية) وأهدافها وأغراضها، إنه بذلك يُفقد القصة القرآنية غايتها المرجوة من العظة والعبرة، لأنه ابتعد بها عن الحقيقة والواقع، وحدد بذلك الهدف من القصة القرآنية، هو المتعة الفنية.

إن الله تعالى جعل من البيان في قرآننا العظيم سحراً، لكنه حدد الهدف من القصة القرآنية (عبرة، عظة)، بالإضافة إلى جماليتها الواقعية، وأثرها على الوجدان البشري.

وإن بَحْثَ الكاتب عن القصد الفني والأدبي في قصص القرآن الكريم يجعله خيالاً ووهماً يبعده عن جادة الواقع والحقيقة، إذ يرى بأن هناك شيئاً أهم من متابعة الخبر والحدث في القصة، فهو بذلك يحاول أن يطبق نظريته في فن القصة عامة على القصة القرآنية خاصة، (مما يجعله يعتبر القصة الدينية لوناً من ألوان

---

١ – الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ط سينا للنشر، ط٥، ١٩٩٩م،ص١٥٢.

القصص الأدبي التي يحدد خصائصها، ببطل خيالي أسطوري، وأحداث غير واقعية، وكلما ابتعدت عن جادة الواقع كان تأثيرها أبلغ.

أما التصوير عنده فهو الذي يخرج الشخصية الواقعية التاريخية عن حقيقتها المألوفة ليجعل منها وهماً وخيالاً فوق الخيال، فيحرك المشاعر والعاطفة، ويحلق بالخيال فوق احتمالات الواقع، ويخرج بنتيجة أن القصص التاريخي في القرآن الكريم، قصص أدبي أولاً وأخيراً، فيكون بذلك معجزة بلاغية قولية برأيه، ويقصد منها غير ما يقصد من التاريخ، وتعرض غير ما يعرض التاريخ، وتثبت غير ما يثبت التاريخ)[١].

ثم يناقض نفسه في قوله: (إن القرآن يجعل القصد من قصصه العظة والعبرة، ويصل إليها بالأسلوب الذي يختاره، وهو الأسلوب الأدبي، الذي يدخل في الخيال كأبرز عناصره)[٢].

كيف تتحقق العبرة من القصة - كما قال سابقاً- وهو يرى أن هدف القصص القرآني (فني) غايته الإعجاز البلاغي والأدبي، إن كاتبنا يناقض نفسه في خروجه بالغاية الأساسية للقصة القرآنية وهي (العظة والعبرة)، وذلك من خلال

---

١ - المصدر السابق، ص١٦٣. بتصرّف.

٢ - المصدر السابق، ص١٨٢.

طرح الحقيقة الحقّة التي يريدها الله تعالى لعباده لكي يسيروا في جادة الصواب، لا هاوية الوهم والضياع!!.

إن الخيال في حقيقته إضافة يُقصد بها التشويق والإمتاع، ولا حاجة في قصص القرآن إلى الخيال والصورة والمفكرة الذّهنية، لأنّه كلام الله تعالى موجه لعباده، وهنا لا بدّ من أن نفرق بين قصة يؤلفها الكاتب، وبين قصة ترد في القرآن الكريم، للأسباب التي ذكرناها.

ومن ناحية ثانية يلجأ كاتب القصة إلى الخيال ليُغْنِي شخصيّاته، ويُكْبِرُ دورها وليجعل منها هامّة أو قريبة منها، وأمّا الشخصيّات في قصص القرآن الكريم، فهي ماثلة بشخوصها وألوانها وحركاتها من خلال اللغة المفهومة والتقريب البلاغي الذي يفتقر إليه الكائن البشري وهو يكتب القصة، فهذا الكاتب يحتاج إلى اللغة المباشرة ليبرز شخصيّاته من جهة، وإلى مرادفات تقارب المعنى الذي يقصد إليه، بينما يكون القصص القرآني غير محتاج إلى مرادفات التقريب لغنى ألفاظه وجماليات صوره التي تضع الشخوص في صورها الحقيقية ماثلة بكل تفاصيلها وألوانها، وكأنها حقيقة أمام ناظري القارئ.

فالهدف في القصص القرآني تربوي بحيث ينقل الإنسان من تصوّره للأحداث إلى مؤمن معتبر بوقوع الحدث أو توقعه، مما يزيده خشية وخوفاً

وتضرّعاً وإقبالاً على الله سبحانه وتعالى، وهذا ما تفتقر إليه قصة أي كاتب بشري مهما امتلك من أساليب البيان.

ونحن نوافق ونشاطر الإمام الشعراوي[١] الرأي إذ أراد أن يخرج بالقصص القرآني عن دائرة القصص البشرية التي يرويها أي كتاب آخر، أو يصنعها أي مؤلف كما يحدث في هذا العصر، حيث يوجد فن قائم اسمه فن القصة، ومعظم هذه القصص إما خيالية، أو عمل العقل البشري على استخراجها من الواقع وأضاف إليها من الخيال، هدفه فيها الملهاة وقتل الوقت.

وهذا النوع من القصص يختلف بالتأكيد عن قصص القرآن الكريم، ويقترح الشعراوي تسميةَ الحكايات التي يتم اقتناصها من الواقع ومَزْجِ الخيال بها، (باسم غير القصة)، ويرى أن هذا الفن وارد من الغرب، وقد أخطأ من ترجم تلك الحكايات باسم (القصص)، ذلك أن كلمة (قصة) في اللغة العربية مأخوذة من (قصّ الأثر)، وقصّ الأثر معناه أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه، بحيث لا يتجاوزه أبداً ليصل إلى مراده في نهاية الأمر، وقصاصو الأثر هم قوم كان يأتي بهم العرب ليكتشفوا آثار بشر مفقودين أو إبل ضائعة، أو شيء مفقود، وكان يرون آثار الأقدام ليعرفوا أين ذهب صاحب هذه القدم، ويميزوا قدم إنسان من قدم إنسان آخر.

---

١ - قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي ص٢٤-٢٥.

لذلك كان من الأجدر ألا تطلق كلمة (قصة) على أمر خيالي أو متوهم أو لا واقع له، إنما القصة يمكن أن تطبق على أمر قد وقع بالفعل ولا نزيد فيه شيئاً، كما علّمنا تبارك وتعالى، وذلك لنثبّت به فؤاد قارئها ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وهكذا كان ولا زال القصص القرآني، قصص الحق الذي لا يمكن أن نقارنه بقصص البشر، فهو ليس حكاية مزج فيها الخيال بالواقع، كما هو عليه في العُرف الأدبي الحديث القادم من حضارة الغرب، بل هو عبرة عامة وموعظة تتكرر في كل عصر، وليس الهدف من القصص القرآني الأشخاص لذواتهم، (ماعدا قصة مريم عليها السلام، وزيد بن حارثة ﷺ) بل الهدف من القصص القرآني هو تثبيت قلب المؤمنين على طاعته، وسيظل هذا الهدف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذلك لم يذكر الله تعالى أبطال هذه القصص بأسمائهم الكاملة لنعرف أشخاصهم، بل اكتفى باسم واحد.

ففرعون مثلاً هو كل شخص يريد أن يجعل نفسه إلهاً بعيداً في الأرض.

وذو القرنين مثلاً هو من يريد إصلاحاً في الأرض، وصاحب الجنة في سورة الكهف هو كل من ينسى الله ويَنْسِبُ الفضل لنفسه.

فلذا، يعيب الشعراوي على بعض الناس بحثهم من هو فرعون موسى، أو من هو ذو القرنين، ناسين أن الهدف ليس الشخص ولكنها العبرة والعظة.

ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى في سورة مريم عليها السلام قال مريم بنت عمران، ولم يقل مريم فقط، وأن هذه القصة لم تحدث ولن تحدث لغيرها، وكذلك عيسى بن مريم.

أما باقي القصص فالذي يجب أن نستخلصه منها العبرة والعظة، فليس المهم في معرفة من هو فرعون موسى، المهم أن نعرف العظة مما يتعرض له أي إنسان ينصب نفسه إلهاً من دون الله في الأرض، فتكون نهايته نهاية فرعون الطاغية[1].

إذاً استعملت (**لفظة القَصَص**) في القرآن الكريم للتعبير عن أحداث غابرة وأمم سالفة بغية الاتعاظ والاعتبار، لما تحمل هذه الكلمة من معنى محدد لمفهومها اللغوي والاصطلاحي، لذا فلم تُستعمل ألفاظ أخرى مرادفة لها، كـ (**الحكاية**)، و(**الرواية**) مثلاً.

---

١ – قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، ص١٩.

إن كل شيء حدث في الكون، وكل شخص في الكون يمكن أن يكون له تاريخ، والأشخاص التي تتحرك في التاريخ هي أحداث أيضاً لها ميلاد وموت، وتدور حولها أيضاً أحداث أخرى مرتبطة بزمن حياتهم.

لكن الناس تنظر إلى الأحداث المهمة في التاريخ على أساس أنها تتضمن الخلاصة التي على الإنسان أن يستوعبها، ومن هنا تولد القصة.

إن القصة تتطلب حدثاً مثيراً وفيها عقدة، وفيها الحل للعقدة، إذن فالقصة لون خاص من التاريخ.

وهكذا أراد الحق لنا أن نفهم قصص القرآن الكريم.

إن معظمها عن رسل أرسلهم في التاريخ الإنساني بحدث واحد مثير وضخم هو ضرورة الالتفات إلى وحدانية الله وإلى منهج الله، هذا الحدث هو الذي ينظم أمور كل أبناء الوجود، هكذا كان أمر رواية الحق للقصص القرآني في سياق الحدث الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الحدث هو الإسلام ونزول القرآن وبعثة محمد ﷺ.

لذلك فالإمام الشعراوي يفرق بين القصة والسيرة.

إن الله تعالى وضع كل القصص القرآني في رسالة رسوله الكريم، وذلك حتى نأخذ من سيرة رسالة رسولنا الكريم ﷺ الأسوة، تنتظم من خلالها قصص الأنبياء وغيرها من القصص[١].

وهكذا نتعلم أن القصة سيرة لتاريخ ما قبلها، تروي ما حدث من قبل، وبعدها يأتي تاريخ جديد بقصة جديدة، ولا تنفرد مسألة بعث رسول بلقب (سيرة) إلا بعثة محمد ﷺ،لأنها سيرة من جاء بالهدى للكون، فيها ما يسود أحداث الكون.

وبعض الناس يدّعي أن القصص في القرآن الكريم، تكون بتوسع، ومحبوكة، وفيها أشياء قديمة، وأشياء حديثة، لم نكن نعرف عنها شيئاً قبل نزول القرآن.

ولكن الإمام الشعراوي يردّ عليهم في قوله: (إنك تأخذ قضية أو قصة ثم تزيد فيها وتجعل فيها (حبكة) وأبطالاً وتدخل فيها عنصر التشويق)، فإن هذه ليست قصة، هذه رواية، لأن القصة تعني أن تلتزم بما كان فيها حرفياً، وهي مأخوذة كما سبق من (قص الأثر): أي تتبعه في الصحراء.

وحين تقرأ قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴾ [هود: ١٠٠]. فلا بد أن تعرف أن قصص القرآن التي يعطينا الله سبحانه وتعالى بها العبرة الإيمانية، هذه القصص لا بد أنها قد حدثت فعلاً، وأن

---

١ - المصدر السابق: ص٢٦-٢٧ بتصرف.

أحداثها صحيحة لا يداخلها شك، ولا يدخل فيها أي نوع من أنواع الرواية أو اختلاف الأحداث، وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾، فالقائم هو ما بقي من أعمدة عليها نقوش ونحت، لكي تفهم أن القصة صحيحة وحقيقية، فلو أن كل آثارها طُمست، فما الذي يدلك على الحقيقة؟ فعندها يمكن أن يقال: إنه كلام يفتقر إلى الصدق، ولذلك نجد كل أثر من الآثار للأمم السابقة فيه ما هو قائم، أي موجود ليدل الناس على صدق ما يُقال، وحصيد أي هالك، لأنه لا يمكن أن يبقى كما هو ويقاوم الزمن[١].

أما الحكاية فيقول ابن قيم الجوزية[٢] هي أن يحكي كلام المتكلم (إما بلفظه أو بمعناه) والقرآن العظيم خير شاهد على ذلك، فقد حكى الله تعالى من قول الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولكن لم يستخدم الله تعالى لفظة (الحكاية) للمعنى المقصود (القصص)، ولعل الدكتور فالح الربيعي يرى (أن السبب في ذلك هو هذه الدلالة الدقيقة المزدوجة التي تعطيها لفظة "القصة"، وهي شمولها بالمعنى (القاص

---

١ – قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، ص٣٧.

٢ – الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ط١،ص٣٠٠ بتصرف.

والمستمع)على حد سواء، بينما نرى كلمتي "الرواية والحكاية" تقتصر دلالتهما على الراوي والحاكي، دون أن تتعدى على المستمع فحسب)[١].

وهنالك بعض الحكايات التي تمتلئ دروساً بليغة، وتحقق أهدافاً عظيمة، من هذه الحكايات حكاية زياد بن أبيه – حاكم به قوة وله بطش فتاك – جاء إليه رجل يحمل وشاية بهمّام بن عبد الله السالومي، قال زياد للواشي: أأجمع بينك وبين ابن عبد الله؟ وخاف الواشي أن يقول لا فيناله بطش زياد، وأرسل زياد إلى همّام؟ وجاء همّام، وأدخل زياد الواشي وراء ستارة، قال زياد لهمام: بلغني أنك هجرتني، قال همام: كلا أصلحك الله، ما فعلت، ولا أنت لذلك أهل.

فجذب زياد الستارة وقال: إن هذا الرجل قد أخبرني، هنا نظر همام إلى الرجل فوجده صديقاً ممن يجلس معهم، فذهب إليه وتفرس في وجهه وقال له: أنت امرؤ، إما ائتمنتكَ خالياً فخنت، وإما قلتَ قولاً بلا علمي، فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم، هكذا قال همام متهماً صديقه بأنه إما قد نقل كلمة قالها أمامه ليريح نفسه، وإما قد دسّ له قولاً مكذوباً، وهنا أنعم زياد على همام وأقصى عنه الواشي[٢].

---

١ – القصص القرآني، د. فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر القاهرة، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٥م، ص١٠.

٢ – المرجع السابق، ص٢٧–٢٨.

هذه الحكاية تعالج الوشاية، وتدعو الحكام للتحقق من الواشين، حتى لا يرتفع عندهم واشٍ على كومة من الأكاذيب الملفقة.

أما الأقصوصة فنجدها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ٩ – ١٠].

هذه الأقصوصة تحكي موجزاً لحكاية أهل الكهف، حيث عاشوا في عصرٍ كَفَرَ أهله بالبعث، فأوى عدد من المؤمنين إلى الكهف فراراً من المشركين، فوقفت حياتهم سنين عديدة، ثم بعثهم الله مرة أخرى إلى الحياة، وهذا دليل قدرته المطلقة.

وبعد ذلك يروي الحق القصة بتفاصيلها، بداية من قوله سبحانه: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

إلى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

ويروي الله القصص الحق في شأن عدد السنوات التي قضاها هؤلاء الفتية نياماً أنها (ثلاثمئة وتسع سنين).

وإن هذه الآية تتضمن حقيقة فلكية لم يفطن لها الإنسان، ولم يتوصل إليها إلا بعد الاكتشافات العلمية المعاصرة، وهي أن ثلاثمئة سنة شمسية تساوي ثلاثمئة وتسع سنوات قمرية، وهكذا نجد أن القصص القرآني يحفظ الآثار بعلم الله الذي هو فوق كل علم[1].

وقد نتساءل: لماذا استعمل القرآن الكريم للتعبير عن الحوادث التي سردها حول الأمم الماضية ومواقفها من أنبيائها، ألفاظاً أخرى كـ(أنباء وأخبار)، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤]. ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾[القمر: ٤].

وهنا نؤكد على استعمال القرآن لهذه الألفاظ، لتصف وتعبّر عن أحداث القصص القرآنية، لا لتسمّيها وتضع لها عنواناً رسمياً.

---

١ - قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، ص٣٢٠-٣١ بتصرف.

فالعنوان الأساسي للأحداث التي نقلها القرآن الكريم هو (القَص)، ونحن عندما نريد أن نذكر هذه الأحداث ذكراً علمياً نقول: (قصص القرآن) لا (أنباء أو أخبار القرآن)[١].

ولعل الله تعالى أراد من اختيار هذه اللفظة، لفت الانتباه إلى أن القصص التي جاءت في القرآن الكريم ليست من النوع الأدبي المألوف، بل إنها تحمل في نسيجها دلالاتٍ ومعاني ومواعظَ وعبراً عظيمة.

فقد استعمل القرآن الكريم (الخبر والنبأ) بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استُعملا فيه جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث الموغلة في البعد والقدم، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩]، وقوله عن أصحاب الكهف: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣].

---

١ – القصص القرآني رؤية فنية د. فالح الربيعي: ص٩-١٤ بتصرف.

وقد تُستعمل للدلالة على الأحداث المصيرية المهمة، وإن لم تحدث في الماضي، كقوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾[النبأ: ١ – ٣].

وقد تُستعمل للدلالة على أهمية وعظمة تلك الأسماء، في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٣١].

وقد ورد في قصص الأنبياء[1]: أن كلمة نبأ في القرآن الكريم تعني الخبر العظيم، وغالباً ما يكون النبأ (قصة)، في مثل قصة سليمان مع بلقيس، في قوله تعالى على لسان الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾[النمل: ٢٢].

أما الأخبار فإنها تُستخدم عادة في القرآن الكريم للتعبير عن الأحداث الراهنة والمستقبلية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾[محمد: ٣١]. والأخبار في هذه الآية لها دلالة مستقبلية، وكذلك الآية التالية: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴾[الزلزلة: ٤] .

---

١ – قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، ص٢٢.

أما قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [التوبة: ٩٤]، فإنها تدل على الأحداث التي عاصرت نزول القرآن الكريم(١).

مع الملاحظة أنّ مضمون القصص القرآني في نظمه ومادته، لم يشتمل أبداً على شيء من واقع الحال، أو متوقعات المستقبل.

وليست من وظيفة القصة في القرآن تصوير الأحداث الدائرة في محيط الدعوة، ولا تصوير الأحداث المستقبلية التي تنبئ بانطلاق هذه الدعوة وظروفها عبر المستقبل تصويراً فوتوغرافياً، وإنما تصوره على أنه حادث سيقع حتماً (كما في سورة الروم)، و(سورة الفتح)، لكن دون تحديد زمن وقوعه، لأن القرآن تكفل بكل هذه الأحداث الدائرة والمستقبلية، بعيداً عن الأسلوب القصصي ونهجه.

فأخبر سبحانه وتعالى عن فتح مكة، ودخول الناس أفواجاً في دين الله بقوله: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ [النصر: ١].

وأخبر عن انتصار المسلمين وهزيمة الكفار في معركة بدر التي ستقع في قابل الأيام ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ ﴾ [القمر: ٤٥].

---

١ - القصص القرآني رؤية فنية، د. فالح الربيعي، ص١١-١٢، وبحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ١٩٧٢، ص٤٥-٤٧ بتصرف.

وأخبر عن المعارك التي سيتمخض عنها المستقبل والتي ستدور سجالاً بين الفرس والروم، والتي ستكون الغلبة فيها أخيراً للروم، ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم: ١ – ٣].

كما تحدّث القرآن عن المعتقدات والأنبياء والمرسلين وأقوامهم، وتكلم عن المعارك والمغازي التي قامت ناشطة في رحاب الإسلام.

ومع هذا، فليس من المتوقع إقحام الأحداث الجارية أو الآتية في الأسلوب القصصي – ليس مجرد أحداث تُروى وتُحكى – وإنما أحداث تتفاعل وتتحرك وتلد العبر والعظات.

وإن اشتقاق القصة يعني البحث عن الآثار، وتتبع وابتعاث الحدث على صورته الأولى وحالته الأصلية، ثم إعادة عرضه وبعثه من جديد بأسلوب قصصي، الذي يحقق العبرة، ويحدد أبعاد الموعظة[1].

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١١١ ﴾ [يوسف: ١١١].

---

١ – بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، ص٤٥-٤٧ بتصرف.

فالقصص الأدبي: تختلط فيه الحقيقة بالخيال، ويحسن الإغراق والمبالغة والغلو في الخيال، ويكون أكثر وقعاً في النفوس بمقدار بعده عن الواقع والحقيقة وإغراقه في التصوير والخيال.

أما القصة القرآنية: فإنها تعبر عن الواقع الحق، الخالي من أي زيادات خيالية التي يضيفها كتّاب القصة الأدبية، مدّعين بأنها من إبداعهم، أما القصص القرآني فقد ورد بأسلوب بلاغي مُعجز لم تعرف العرب مثله في بلاغتهم ولغتهم، ليزيّنوا فيها قصصهم بغية الإثارة وجذب الاهتمام، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وفي هذه الآية الكريمة ورد ذكر ثلاثة تأكيدات لهذه الحقيقة.

هذه التأكيدات هي عبارة عن (إنّ)، و(اللام)، وعبارة (ما من إله إلا الله)، وكأن الله تعالى فيما يخص التأكيد الثالث، وضع حقيقة واقعية الأحداث القرآنية في مستوى حقيقة عدم وجود إله غير الله تعالى على سبيل أسلوب القصر[1].

---

١ - الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر، ج٢، المطبعة البهية المصرية، ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥، اعتمدنا في تفسير الآية على هذا المرجع.

➢ المبحث الثاني

القصة في فم الإنسان الأول

في القصة سحر يسحر الألباب، وسحرها قديم قِدَم البشرية، فقد شُغِف الإنسان بها منذ عهد طفولته التاريخية الأولى لما طبع عليه من ميل فطري إلى نسج القصص، والاستمتاع بسماعها، فكانت أول رفيق صحبه في وحشته فبدّدها، وفي وحدته فآنسها، فكانت أقوى دافع لتحريك لسانه لصياغتها وإيقاظ ملكاته بحياكتها.

لقد كانت القصة ذات شأن عظيم في آداب الأمم في القديم والحديث، فقد وردت في التوراة، وجاءت في الإنجيل، وزخر بها آي الذكر الحكيم، ثم هي في شعر الإغريق، ومخلفات الرومان، وآثار المصريين القدماء[1].

لقد صاحبت القصة الإنسان في الأول، ورافقته عبر جميع أطوار حياته، وظلّت برّ الأمان الذي يركن إليه إذا قسا عليه الزمان، أو تمردت عليه الطبيعة!!.

---

١ - قصص العرب، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ج٣، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ -١٩٤٨م، ص١ المقدمة.

لذا فالقصة أقدم ما عُرف من تصورات عقل الإنسان الأول وصيد خواطره، وطوارق أحلامه، وهواجس رؤاه.

وهكذا بدأ الإنسان يكتب الصفحات الأولى من تاريخه الطويل في هذه الحياة، وكانت الكلمة هي أبلغ وأوضح ما يخط به في صحف التاريخ، فكان إذا أسعفته حكى لأهله وأصحابه بعض ما في صدره وعقله من رؤى وخواطر ومخاوف وأوهام، وإن لم يجد اللغة التي تترجم عن أحاسيسه ومشاعره تلك، حبسها في صدره واختزنها في عقله، ثم راح يطلق بعضها في صورة بخور وتعاويذ ورُقى، وحركات ورقص وصلوات.

إن نظرة الشر إلى الوجود كانت هي الغالبة على الإنسان، والمستعبدة لعقله وقلبه في هذا الصراع المحتدم بينه وبين الحياة!!.

لعل هذا الإحساس أيضاً هو الذي جعل من الإنسان نفسه قرباناً يضحى به على مذبح الآلهة، فالموت على مذبحها خير من الموت بين فكي أسد.

على أيٍّ فإن الدين في صورته الأولى لم يكن سوى القصة أو الحكاية أو الخرافة، ممثلة على مسرح الحياة في خطوات الإنسان الأول، وفي خطواته ووساوسه وأوهامه[1].

---

١ – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.

➢ المبحث الثالث

القصة العربية في العصر الجاهلي

لقد ولدت القصة الأولى في حياة الإنسان العربي بمولده، وانتقلت بسرعة إلى الأصقاع عبر أمسيات السمر وضوء القمر أمام خيامهم، فقد كان العرب من أوائل الشعوب التي عاشت القصة في وجدانهم، وإن القصة العربية هي الوجه الصبوح في واقع هذا الإنسان الفطري الحرّ، تعكس في خطوطها الطبيعية كل ما يدور حوله من أحداث وعوالم مجهولة ترمي إليه بالرهبة والدهشة، وبعجائب وغرائب، ويقف أمامها خائفاً متعثراً، فتتضخم مخاوفه، فتعتمل في نفسه، إلى أن تتجسد خيالات وأوهاماً وأحلاماً، تحكي قصصاً يعيش فيها بين الحلم والواقع.

ولهذا فإن حياة الأمة العربية كانت قصة طويلة مثيرة في صراعها الدائم مع الحياة ومطالب العيش من جهة، وفي صراعها الدامي المتصل فيما بين أفرادها وجماعاتها من جهة أخرى.

إنها قصة درامية، كُتبت حروفها وكلماتها وفصولها بدم الإنسان ودموعه، وهي صورة مصغّرة من الحقيقة التي كان يعيش فيها الناس، ليس فيها شيء من الخيال البعيد أو القريب!!.

لهذا كان الشعر العربي كله واقعياً ملحّاً في الواقعية، مغرقاً فيها، بعيداً عن الرؤى والخيالات الأسطورية.

خذ عنترة مثلاً، فهو بطلٌ وفارسٌ من الطراز الأول، لكنه ظل بطلاً إنسانياً في بطولته في قصص العرب!! ولو أن عنترة هذا كان في الأمة اليونانية-مثلاً- لكان أسطورة من أساطيرها، ولكان له موقع من الآلهة، ولجعلوه ملحمة عصرهم، إذ هكذا كان يعمل الخيال في عقل الأمة اليونانية[١].

إن عنترة لم يكن عند نفسه - بل وعند العرب- إلا فارساً من فرسان العرب، وبطلاً من أبطالهم المغاوير، ولم تخرج به بطولته الفذة النادرة عن هذا الحد عند نفسه، ولا عند قومه، فهو بطل قد يَغلب وقد يُغلب، وليس بطلاً أسطورياً يفوق تصور الخيال في بطولته.

ها هو يفخر ببطولته ومواقعه في الحرب فيقول [٢] :

ومُـدَجّـج كَـرِهَ الـكُـماةُ نِـزالَـهُ لا مُمْعنٍ هربـاً ولا مسـتسـلمِ

---

١ - المرجع السابق، ص١٥-١٧ بتصرف.

٢ - شرح المعلقات السبع، الإمام أبو عبد الله الحسين الزوزني، ط مكتبة المعارف بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ص١٢٣-١٢٦، ورد ذكرها أيضاً في القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص١٨-١٩.

جادت لـه كفي بعـاجـلِ طعنـةٍ ... مثقّفٍ صَـــدْقِ الكُعوبِ مُقَومِ [١]

فشـككت بالرُّمح الأصـمِّ ثيابَهُ ... ليسَ الكريمُ على القنـا بمُحرمُ[٢]

فتركتُـهُ جَزَرَ الســباعِ يَنُشْــنَـهُ ... يقضُـمنَ حُسْـنَ بنانِه والمعصـم[٣]

لمـا رآني قـد نـزلـت أريـده ... أبـدى نـواجـذه لـغير تبســم[٤]

فـطـعـنـتـه بـالـرمـح ثـم عـلـوتـه ... بمهنـد صـــافي الحـديـدةِ مِخـذم[٥]

إنها صورة متكاملة حقيقية لمشهد بطولي لفارس عربي، يرسمها عنترة لنفسه، وأنه إن كان أعظم وأقوى من أبطال قومه وفرسانهم فإنه ضعيف مقهور أمام قوى الطبيعة وأحداث الحياة، ولهذا فإنه لا يزهو كثيراً بما عنده من قوة وشجاعة، ولا يذهب إلى أبعد مما كان يجري على الطبيعة في ساحة الحرب، وأنه كان إذا حدثته نفسه بزهو أو خيلاء نظر إلى قوة الطبيعة القاهرة من حوله فيضمر زهوه، وينكمش خيلاؤه وعجبه، ويصغر شأنه عند نفسه، وسرعان ما تذوب

---

١ – جادت يدي له بطعنة رمح مقوم صلب الكعوب، والبيت جواب رب المضمر بعد الواو في ومدجج، وقوله: بعاجل طعنة: قدم الصفة على الموصوف ثم أضافها، تقديره: (بطعنة عاجلة)، الصّدق: الصلب.

٢ – الشك: الانتظام، الأصم: الصلب، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسده وثيابه كلها، ويريد أن الرماح مولعة بالكرام، لحرصهم على الإقدام.

٣ – الجزر جمع جزر، وهي الشاة التي أُعدت للذبح، أي: قتله وجعله عرضة للسباع تأكله.

٤ – حالة الرجل الذي نزلت عن فرسي لقتله، لفرط كلوحه من كراهية الموت قلصت شفتاه عن أسنانه، وليس ذلك لتكلم ولا لتبسم ولكن من الخوف.

٥ – المخذم: السريع القطع. يقول: طعنته برمحي حين ألقيته من ظهر فرسه، ثم علوته مع سيف مهند صافي الحديد سريع القطع.

هذه الألوان الزاهية المعجبة التي صنعها الخيال لبطولته وشجاعته، ولا يبقى إلا الواقع مجرداً، فتلتقطه شاعريته كما هو[١].

لذا فقد استغل بعض المستشرقين تقصير العرب في نسج ملاحم تحاكي الآلهة، وتحاكي الحروب والأحداث التي كانت تدور في حياتهم في الجزيرة العربية، مدّعين أنه لم يكن للعرب كلمة خيال كخيال اليونان الذي حاك ملاحم تحكي حروبهم وصراعاتهم (كملحمة الإلياذية والأوديسا لهوميروس)، بل وصموا العرب بالخيال العقيم وعابوا عليهم الفكر السطحي القريب[٢]، ونسوا ما عند العرب من قصص تصور عصورهم وحياتهم كقصص عنترة[٣]، والأميرة ذات الهمة، وأخبار سيف ذي يزن، وسيرة بني هلال، والظاهر بيبرس، بالإضافة للقصص التي ترجموها عن الفرس والهند لحكاية ألف ليلة وليلة[٤].

---

١ – القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص١٩.

٢ – قصص العرب، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ص١، المقدمة.

٣ – قصة عنترة هي قصة حماسية تمثل حياة العرب في الجاهلية تمثيلاً صادقاً، وتصف أخلاقهم وحروبهم وصفاً ناطقاً، وتبعث في النفس الحمية والنجدة والوفاء والسخاء، فهي أفضل القصص العربية وأَوْلى بها أن تُسمى (إلياذة العرب).

٤ – تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٣٤٩-٣٩٥ بتصرف.

إن تقصير العرب في خلق مثل هذه الملاحم لم يكن لنقص في طبيعتهم، ولا لضعف في مَلَكَةِ الخيال عندهم، وإنما كان ذلك عن احترام لشخصيتهم أن يلبسوها غير لباسها، وأن يعيروها ما ليس لها.

إن اعتزاز العربي بشخصيته، واحترامه لها، وتقديره لمشخصاتها، يأبى عليه أن يكون على أية صورة إلا صورته تلك التي عرفها وعاش فيها[1]، ويأبى شموخه أن يشوّه من ملامح شخصيته مهما كانت إبداعات الخيال وجمالياته تستدعي ذلك، فالعربي حريص على الاحتفاظ بملامحه الأصيلة، معجب معتزّ بها، فكيف يخرج من ذاته ويستبدلها بخيال آخر وملامح أسطورية أخرى بعيدة عن الواقع والحقيقة.

إذاً القرآن الكريم بقصصه لم يأتِ بشيء بعيد عن عقل العرب وتصوراتهم ومدركاتهم، إنما جاء بلسانهم العربي، وبأسلوبهم الفصيح، وببيانهم الساحر، وبصورتهم المنتزعة من الواقع، وبعيدة عن الخيال المفرط والمبالغة الأسطورية المهولة، فناسب زمانهم وزمان غيرهم، لأن وجه الحقيقة لا يتغير بتغير الأزمان والأماكن.

---

١ – القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص٢٣.

لذا كان الإقبال على قصص القرآن الكريم، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ناهيك عن بعض المشركين من قريش الذين تصدّوا للدعوة الإسلامية بتشريعاتها وقصصها وأحكامها، وهذا لِمَا طبعوا عليه من عناد وإباء تأبى نفوسهم أن ينقادوا للحق المبين: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

➢ المبحث الرابع

القصة طريق إلى العلم والدين عند الإنسان الأول

يقول بعض السلف: (القصص جنود الله)

فأول ذلك: ما قصّ سبحانه عن آدم وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض[1].

وآخر القصة قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩].

وفي الآية الأخرى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا

---

١ – مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبد الوهاب، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ – ١٠٥٦م، ص٣.

فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٧].

لقد كانت الأخبار التي حملتها القصص الأولى في حياة الإنسان هي أبجدية معرفته الأولى، وهي مسجلاته الصوتية والمصورة التي بدأ يجمعها في مخيلته، ويجسدها في كلمته بقوالب قصصية تفسر له حقائق العلم الذي يهدي إلى الدين الحق، وحقائق الدين الذي يهديه بالعلم إلى تصحيح هدفه، وإلى المسؤولية عن العمل على تحقيق هذا الهدف ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل[١].

لقد غلفت قصص الإنسان القديم بمعتقدات، وقد عبر عنها من خلال القصة القديمة، وكل ما وصل إلينا من قصص السابقين تؤكد ارتباط الإنسان عقائدياً بتلك المعتقدات.

(إن بعض معتقدات الأولين في الأغلب الأعم كانت من نسيج الوهم والخيال، وذلك بسبب أن الإنسان خُلق متديناً بفطرته)[٢].

فالعلاقة بين الدين والقصة علاقة وثيقة وطيدة منذ أقدم العصور، وعلى هذا الأساس إنما القصة كانت ولا تزال مدخلاً طبيعياً يدخل منه أصحاب

---

١ – قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، ص٣٣.

٢ – سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع ط١٩٧٤م.

الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا منها بما يرونهم عليه من آراء ومعتقدات، ولعل عصرنا هذا خير شاهد على ما للقصة من سلطان في الحياة، ومن أثر في تغيير أوضاعها، وتلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إذ هي أقوى جهاز من أجهزة التأثير في قيادة الجماعات البشرية في الحرب والسلم على السواء[١].

مما لا شك فيه أن ظاهرة وجود للقصص الخرافية كانت منتشرة بين العرب قبل الإسلام، إذ كان يعبر من خلالها عن ضعفه أمام قوى الطبيعة ومظاهر القوة المحيطة ببيئته الصحراوية الغامضة، والصراعات والأوهام التي تعتمل في داخله قبل بزوغ الإسلام.

وقد كان قسم من هذه الأساطير ما هو عربي خالص، ومنها ما هو مزيج من مخيلة عربية وشعوب أخرى مجاورة، ومنها ما هو أجنبي خالص استعاره العرب من الأمم الأخرى من بلاد فارس أو الهند، وقد كان المشركون يستخدمون هذه الخرافات لصرف الناس عن الاستماع إلى القرآن بعد بزوغ الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [لقمان: ٦].

---

١ - القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص٦-٨ بتصرف.

وبمرور الزمن ازداد رصيد الإنسانية من الأساطير والخرافات والقصص، وجاءت الأديان السماوية فرفعت منزلة الإنسان فوق الأوهام والأكاذيب، واستطاعت القصة أن تغيّر في اتجاهات الإنسان نحو الخرافة، إلى وجهة الواقع والحقيقة، إذ إن الأسلوب القصصي يُعدّ أرقى الأساليب لتقويم النفس البشرية وهدايتها.

فللقصة أثرها في تربية النفوس والسلوك والضمير الإنساني، ولهذا حظيت بالاهتمام، وكانت في مقدمة الفنون التي تضم بين تمازج عناصرها بأحداثها مواريث الشعوب بدائية كانت أم متحضرة، حديثة أم قديمة، قدم التاريخ.

لذا اهتم العربي بالقصة، فوجد فيها ضالته، ومن مظاهر اهتمامه حرصه الشديد على جمع ورواية الأخبار والحكايات المتعلقة بأيامه وحروبه وحوادثه المهمة، والوقائع الطريفة التي كانت تحدث بين الحين والآخر، ويشتهر أمرها بين الناس إلى حدَ روايتها والتندّر بها، مثل قصة (الزبّاء) وقصة (زرقاء اليمامة).

وقد كان العرب بالإضافة إلى ذلك يختزنون في ذاكرتهم شيئاً من قصص وأخبار الأمم الماضية والأنبياء مثل الأخبار الواردة عن لقمان الحكيم، وقصة عاد وثمود، وقصة النبي إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام[١].

ومن مظاهر اهتمام العرب بالقصة أيضاً وجود ظاهرة " الأمثال" عندهم على نطاق واسع، فمن المعلوم أنّ الأمثال مبنية على حوادث وقصص كانت السبب في صدورها وجريانها على ألسنة الناس، ولكل مثل قصة خاصة به مثل قولهم: "وافق شن طبقة"، " الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ"، وغيرها[٢]

١ – القصص القرآني رؤية فنية، د. فالح الربيعي ص١٦-١٧ بتصرف.

٢ – تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان مكتبة الحياة بيروت، ١٩٦٩. ومجمع الأمثال للميداني، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، صنعه قصي الحسيني، ط دار الشمال لبنان، ١٩٩٠م. ومعجم الأمثال للميداني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط السنية القاهرة ١٩٧٥م.

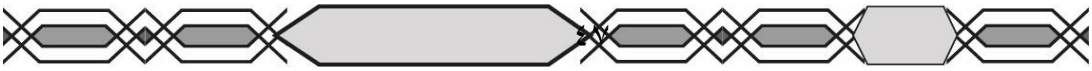

الفصل الثاني

في ملامح القصة القرآنية ودورها في الدعوة

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية

المبحث الثاني: دور القصة القرآنية في الدعوة الإسلامية

المبحث الثالث: المزايا التي أكدت على أهمية القصة في الدعوة الإسلامية

المبحث الرابع: الخصائص العامة للقصة القرآنية

المبحث الأول

مفهوم القصة القرآنية

جاء القرآن الكريم فروى أخبار الأمم السالفة وقدّمها إلى قلب الإنسان وشعوره بطرق مثيرة لعواطف الخير، تحمل في أساليبها دعوة صادقة إلى الحق والهداية، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير والميل بها عن مشارب الشر والضلال[١].

جاء القرآن الكريم بقصصه ليعرض الأحداث التاريخية التي مضى بها الزمن مغلفة برقائق النور والهداية، وبلاسم العظة والاعتبار، ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فالقصة القرآنية ليست عملاً فنياً مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه، ضمن قالب وخصائص فنية محددة، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم إلى تحقيق أغراضه الدينية، لأنه كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائل هذه الدعوة وتثبيتها.

---

١ - مفاهيم جغرافية في القصص القرآني، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، دار الشروق السعودية، ط١، ١٩٨١-١٤٠١هـ، ص١٢-١٣.

لذا فالقصة القرآنية نسيج وحدها في أسلوبها وموضوعها وغاياتها، فهي عصارة من الحقيقة الصادقة لا وهم، ولا خيال فيها!!

ويتجلى الإعجاز في صدقه ونقله للأحداث نقلاً حيّاً كأنها تتجسد في زمانها ومكانها، ليكشف العظة والعبرة من خلالها، فنحن في مواجهة القصص القرآني، في لقاء الأحداث التي يعرضها، إنما نشهد الواقع في أروع ما تراه عين، أو تكشفه بصيرة!!.

فليس القصص القرآني إلا القرآن الكريم، في صدقه المطلق، في كل لمحة منه، وفي كل إشارة له من بعيد أو قريب[1]، هو الحق الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢].

القصص القرآني وثيقة تاريخية لأحداث واقعية مضت عليها الأزمان، فلا خيال ولا مبالغة فيها، ومع هذا فهي "قصة"، قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ٣].

إن القصص القرآني يستحضر الماضي البعيد فيجعل منه حاضراً ماثلاً في كل رسومه وأبعاده المكانية والزمانيّة، وكل تموجاته النفسيّة وانفعالاته العقلية، ليبلغ

---

١ - القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص١١.

الغاية من الإبلاغ، ويوصل العبرة إلى الناس، بحيث تتحفز نفوسهم إلى التلقي وتوقع الحدث المماثل لهم في حال مخالفتهم كما خالف السابقون.

لكنّ هذا الماضي الذي استحضره القرآن الكريم كان مُحَمَّلاً في كل ما حمل من عبر، لكنّه عاد ليواجه في أحداثه الكبرى نفوس الجبابرة وعتوّ الكفرة المعاندين الذي وقفوا في وجه الرسالة، فكان يقوم بتهذيب طباع المؤمنين وإرشادهم إلى مسالك الدعوة الإسلامية الخيرة، كما يبعث الرهبة في نفوس العابثين الذين ينظرون إلى الحياة على أنها ضرب من العبث.

وهذا الماضي حين أُهملت معانيه، على الرغم من أنه كان معروفاً عند العرب الجاهليين، إلا أنهم لم يتعظوا بما فيه، إلى أن جاء القرآن الكريم بقصصه وعظاته وعبره، فاستوقف العقلاء، ونبه الجهلاء، ورسّخ مفهوم الثواب والعقاب في نفوس المؤمنين، فأصبح القصص القرآني ثقافة وعلوماً وتاريخاً تهتدي به أمة بكاملها.

لقد صان الله تعالى أخبار الغيب التي يسردها القرآن الكريم في قصصه من شطحات الخيال، وسحابات الأحلام، ومع ذلك فقد حافظ القصص القرآني على عنصر التشويق والتأثير والعظة والعبرة، في عرضه للحقائق المطلقة، وهذا من مظاهر إعجازه، ثم إن الله تعالى أفاض على القصة القرآنية آيات الحسن والجلال

والصدق والإبداع، فهي لا تحتاج لألوان الإثارة والتشويق لكي تكسبنا الإقناع والتأثير.

إن هذا النظم الرائع المعجز لفن القصة القرآنية لهو إعجاز وآية من آيات الصدق والإجلال.

لقد جاء على وفق حياة الناس، لذا فلم يخرج عن مألوف حياتهم وبيئتهم، فصوّر الصراع بينهم والذي يتجسد بين قوى الخير والشر، وبين الإيمان والكفر، فالقصة في القرآن ليست مجرد أحداث وحقائق تاريخية ينقلها إلينا نقلاً تاريخياً بحتاً، بل يصبها في قالب جديد بعيد عن خيال الوهم، ويبعثها من جديد بغية العظة والعبرة.

المبحث الثاني

دور القصة القرآنية في الدعوة الإسلامية

لقد كانت القصة متداولة بين العرب قبل الإسلام، وجاء القرآن الكريم بها كأسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية، لما للعرب من ميل شديد إلى الاستماع للقصص وتداولها.

فالإسلام يدرك ميل العرب الفطري للقصة، ويدرك دورها وتأثيرها الساحر على الوجدان، فيجعلها وسيلة من وسائل التربية الأدبية المختلفة، لأنها أكثر التصاقاً بحياة الإنسان وتصوير واقعه الاجتماعي والنفسي.

القرآن الكريم يستخدم القصة بأسلوبها الشائق والمعجز، ليحكي قصة الإنسان مع الإيمان، وليبين الصراع القائم بين الهداية والضلال، وبين الحق والباطل، وبين العدل والظلم.

والقصة ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي، والاطمئنان القلبي بما تدعو إليه من وحدانية الله تعالى، والإيمان به وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر، وبما تحمله من عقائد وقيم في محاربة الضلال والظلم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

فالقصة القرآنية تأخذ بمجامع خلجات النفس بما تبعثه فيها رقّة المشاعر وشفافيتها وإيمانها، فهي تعبر عن حالة نفسيّة متوقعة الخوف أو الأمن أو الثواب أو العقاب أو غير ذلك من العوامل التي تتحرك فيها الملكات والقوى النفسيّة، فتخلق حولها أجواء وفضاءات لا تستطيع النفس الانفلات منها أو تجاهلها.

وإنما تدخلها القصص في عالم حقيقي في كل ما يرتسم به وما يوحي به وما يِعَد به، لأن المفردات فيها لا يدخلها الوهم ولا يقترب منها الخيال، وليس هذا وحسب، وإنّما هي خلق لحالة من الحوار الذاتي بين خلجات النفس وقواها العاقلة تبلغ القوّة المدركة فيها فتقنعها بأسلوب لا يحتاج إلى دلالات مبهرة تسلب الإنسان بصره أو تقيده بحالة من الرهبة والرغبة، لكنّها تبيّن له سبل الحقيقة وطريق السلامة إلى السعادة التي ينشدها الكمال الإنساني في الدنيا والآخرة عند تحقّقه، ولذلك فإن القصص من أبرز وسائل الدعوة والإرشاد وأهم طرق المحاورة العقليّة ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ الجاثية: ٢٣، ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إن القصص القرآني من أنجح الوسائل للتقويم والهداية، إذ تكون أخبار الأمم السابقة مرئية مشخصة تؤثر في عواطف الخير، وتصرفها عن نوازع الشر، وتزرع فيها بذور الإيمان، والدليل على أهميتها أن الله تعالى تولى القصّ على رسوله

الكريم ﷺ بأحسن القصص ليجعلها وسيلة طيّعة للدعوة: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فهذه إشارة واضحة الأبعاد على أن القصص القرآني من أقوى محرضات الإنسان على التفكر والتدبر من أجل فهم حقيقة الدعوة التي جاء بها الإسلام مع بعثة محمد ﷺ، وفيها إعْمال للعقل ومحاورته وحثه على التأمل في عالم الملك والملكوت لإدراك معاني هذه الحقيقة الدينيّة التي تشتمل على كل علوم الكون والحياة.

لذا سلك النبي ﷺ المنهج القرآني في استخدام القصة من أجل نشر الدعوة والرسالة بين الناس.

ومما يدل على إقبال الناس على القصة، ورغبتهم في الاستماع إليها أن الناس من المسلمين وغيرهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يحدثهم بالقصص، فقد ذكرت كتب التفسير والسيرة أن قريشاً سألت النبي ﷺ عن أصحاب الكهف والرجل الطوّاف والروح بوحي من أحبار اليهود، وذلك لتعجيزه واختبار صدق نبوته فنزلت سورة الكهف وقصة أهل الكهف[١].

١ – السيرة النبوية لابن هشام، محمد بن عبد الملك بن أيوب الحميري، ط البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ، ص١٣٩، وتفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ط دار التراث العربي، بدون تاريخ، بداية سورة الكهف.

لذا فقد عرض الرسول الكريم ﷺ دعوته بأسلوب قصصي مثير كان لها بالغ الأثر في نفوس مشركي مكة وأخذوا بالدهشة والاستغراب، وعزموا على مقاومة الدعوة بما لديهم من قصص، ولا أدلَّ على ذلك مما فعله النضر بن الحارث، الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه الله وحذّر قومه ما أصاب قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ فأنا أحدثكم أحسن منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ثم يقول: بماذا محمد أحسن مني حديثاً؟ ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣] (١).

وذلك بقصد التشويش على القصص التي يرويها النبي ﷺ، ذلك لأن المشركين يعرفون ما يحدثه القصص الذي يرويه النبي ﷺ من أثر في نفوس المؤمنين.

نستخلص من هذا كله، أن القصة القرآنية لعبت دوراً هاماً وأساسياً في تبليغ الدعوة ونشر دين الحق، وتعميق مبادئ الإسلام، ولا زالت قادرة على أداء الدور نفسه في مجتمعاتنا المعاصرة، وفي كل مجتمع إنساني في كل زمان ومكان، إذا تم استخدامها وفق منهج علمي ودقيق، وبأسلوب عصري شائق، مع التزامها بنبل الغايات، وسمو المقاصد.

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، ص١٣٨.

➢ المبحث الثالث

المزايا التي أكدت أهمية القصة في الدعوة الإسلامية

١- إن النفس البشرية جُبلت على حب القصص والإقبال على سماعه، والتأثر بما يتضمن من أخبار وأحداث وأشخاص، مما يجعله من أنسب أساليب الخطاب، لعرض الحق وبيانه، والتحذير من الباطل وتصوير عواقبه.

لذا فإن القرآن الكريم قد تضمن – من قصص الأنبياء عليهم السلام وأقوالهم من الأمم السابقة، وكذلك قصص غيرهم- من عبرة وعظة الشيء الكثير، لأن خالق الناس أجمعين يعلم ما لهذا القصص في النفوس البشرية من أثر بالغ تتعظ به النفوس السوية، وتهتدي به القلوب التقية.

٢- القصص تتضح فيه معالم الخير والشر، ومواقف الحق والباطل، لأنه يعتمد التصوير والتشخيص، بحيث يتحول السامع بما يتصوره ويسمعه من أحداث وشخصيات ومواقف، كأنه مشاهد يرى ما يتضمنه القصص، وينفعل به ويتأثر له.

٣- القصص تنتهي إلى مواعظ وعبر، فخاتمة القصة ونهايتها هي جامعة للعبرة ومحور للفكرة وناطقة بالموعظة [١].

٤- القصص تعليم وتذكير غير مباشر، فالسامع هو الذي يستخرج منه الموعظة، فيكون الواعظ لنفسه، وهذا أوقع في النفس، ثم إن السامع للقصص والمطّلع عليه كلما تكرر عليه ذلك القصص، وقف منه على شيء من العبر والفوائد، غير الذي عليه من قبل، وهكذا يظل القصص معيناً لا يَنْضب، وبحراً لا تُدْرَك أعماقه، من الفوائد والمواعظ والعبر.

٥- القصص بأحداثه، وأشخاصه، وما يدور فيه، وما ينتهي إليه، من ألصق الأمور بالذاكرة وأثبتها فيها، كما أنه من أيسر الأمور على الأذهان وأقربها إليها.

فالقصة لا تكاد تنسى من ذاكرة سامعها أو قارئها، فهي للدعوة والوعظ من أنسب الأساليب وأوقاها.

٦- ومن فوائد البلاغ بالقصص، أن السامع له، والمطّلع عليه يستشعر ما دام أن القصة تنبئ عن أحداث وقعت، أو يمكن وقوعها، وأن من تدور حوله من الأشخاص هم بشر عاديون، فإنه يستشعر أن مواعظها وفوائدها قريبة منه، ممكنة الوقوع له أو لغيره، فإن كان فيها إنذار أو تحذير كان أكثر استشعاراً للخطر

---

١ - الدعوة إلى الله في الميادين الثلاثة، الشيخ محمد حامد الغامدي، ص٢٠٩-٢١١ بتصرف.

واستعداداً للحذر، وإن كان فيها بشارة وترغيب[١] كان أشوق إليها وأكثر تمثلاً لها، وتأثراً بها.

٧- والقصص لما فيها من تصوير للمشاهد وتشخيص للوقائع فإنه يورث السامع له أو القارئ إيماناً بما يتوصل إليه من عبرة وعظة يبلغ درجة اليقين الذي لا يتزعزع، وهذا كله واضح بيّن فيما تضمنه القرآن الكريم من القصص، وما حدّث به رسولنا الكريم ﷺ منه، سواء ما يتعلق بماضٍ وقع، أو مستقبل سيقع، وفي هذا دليل على أهمية القصص في عرض الدعوة إلى الله تعالى وإبلاغ دينه إلى الناس[٢].

---

١ - المصدر السابق بتصرف.

٢ - المصدر السابق بتصرف.

➢ المبحث الرابع

أهم الخصائص العامة للقصة القرآنية

١- **القصص القرآني رباني المصدر**: يصدر من منبع واحد وهو الوحي الإلهي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣ – ٤].

٢- **القصص القرآني مطابق للواقع والصدق**: إن كل ما ورد ذكره من أحداث الماضي وسير الأولين، وأخبار الغابرين، وما جاء من أنباء الغيب، لهو صدق وعدل وحق، لا يتطرق إليه الشك والارتياب، فهو يحكي الواقع، وأتى لأهداف دعوية وتوجيهية، فصور الحقائق تصويراً دقيقاً، وعبّر عن الأحداث والأحاسيس التي وقعت للأفراد والأمم في غابر الأزمان تعبيراً صادقاً، ولم يكن نسيج خيال ولا تهيؤات نفس، بل الواقع الكامل كما حصل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

ولا يمكن أن يكون في هذا القصص غير الصدق والواقع المطابق له، لأنه وحي من الله تعالى العليم الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً منذ الأزل إلى الأبد، فإما ضَمَّنَهُ كتابه الكريم، وإما ألقى مادته إلى نبينا محمد ﷺ ليصوغ منها القصص على

أسلوبه البليغ تبليغاً للدين، وتوجيهاً للناس إلى ما فيه صلاح وخير لهم في دنياهم وآخرتهم[١].

٣- **قصص القرآن دعوي وتربوي**: تتميز بأنها أعظم وسائل القرآن الكريم للدعوة والتربية، وغرس القيم العليا في النفوس، ولما كان العهد المكي عهد دعوة وتربية، إذ قصر النبي الكريم ﷺ همته فيه على الدعوة إلى توحيد الله، وتربية الجماعة المؤمنة على الصبر والاحتمال، والمغفرة تثبيتاً لقلوبهم على الإيمان مع كل ما يلاقونه من محن وشدائد، قد شغل القصص القرآني حيّزاً كبيراً من هذا العهد، بل معظمه، وعالج كل ما يهدف القرآن إلى الدعوة إليه، أو تعميق الإيمان به في قلوب المؤمنين.

وهذا النبي الكريم ﷺ يشكوه أصحابه المستضعفين في مكة بعد ما بلغ بهم الأذى والعذاب من قريش كل مبلغ، فيأخذهم بالتربية الإيمانية، ويعلمهم التحلي بالصبر، والثبات على المبدأ، والتمسك بزمام الحق دون تفريط مهما اشتدت صنوف العذاب والأذى، عن طريق قصة رائعة في الصمود والثبات للمؤمنين السابقين، فيقول لهم عليه الصلاة والسلام - وهو واثق من نصر الله وتأييده له:

---

١ - مجلة البعث الإسلامي، المجلد الثامن والأربعون- العدد العاشر، دراسات في كتاب الله تعالى للأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، ١٤٢٤هـ/ الهند/ ، ص٦٧-٧٧ بتصرف.

" كان الرجل فيمن قبلكم يُحْفَر له في الأرض، فُيجعل فيه، فُيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فُيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه " (١).

وبما يخص قصص القرآن والسنة بالدعوة والتربية، فإننا نرى مثلاً الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القصص القرآني، أنهم بعد الدعوة إلى الله، يركزون على الإصلاح والتربية، فيدعون إلى ما فيه تزكية للنفوس، وتقويم للأخلاق، وتثبيت للقيم، وتعليم لصلاح الأعمال، لأنه من أعظم المقاصد في الشرائع السماوية بعد الإيمان، يظهر ذلك في قصة موسى عليه الصلاة والسلام من سورة إبراهيم حيث يقول عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥].

ونجد في سورة الأعراف قصص عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث يبدؤون دعوتهم بالتوحيد، ويعقبونها بالنهي عما تلبس به أقوالهم من قبيح الخصال، وذميم الفعال، فدعوة هود عليه السلام حذّرت عاداً من الظلم والطغيان والعبث والبطش، وسوء استغلال القوة والبأس، ودعوة لوط عليه السلام لقومه تضمّنت التشنيع عليهم بما يأتونه من فاحشة الشذوذ الجنسي، ودعوة شعيب عليه السلام

---

١ - البخاري مع الفتح: ٣٦١٢، دار أبي حيان القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

لأهل مدين ندّدت بالظلم الاقتصادي، واقتناء الثروة بالطرق الجائرة، إذ تفشى فيهم نقص المكيال والميزان[١].

هذا الالتزام بالدعوة والتربية من خصائص قصص القرآن.

أما القصص الأدبية في القديم والحديث فمعظمها يقوم على تشويه الحقائق، وتحسين، الشر وتقبيح الخير، والانحراف عن القيم والمثل بقصد الإبداع للخيال الفني، وقليل هؤلاء الذين ساروا بالقصة مسارها الصحيح نهجاً وموضوعاً [٢].

٤- **قصص القرآن يشتمل على الغيب والمعجزات**: إن احتواء القصص القرآني على حقائق الغيب، وأسراره، وأخباره، والمعجزات، من المميزات التي لا تشاركها القصة الفنية، من كل جوانبها وأبعادها.

لأن الله تعالى هو العلاّم بالغيوب، القادر على المعجزات، وعندما أنزل كتابه إلى نبينا محمد ﷺ وكشف فيه عن أستار الغيب، كان من الطبيعي أن يكون لقصص القرآن الكريم حظ وافر منه، ومن المعجزات التي جاءت دالة على القدرة الإلهية، وعلى صدق الرسالة والنبوة، على مدى التاريخ البشري، كعصا موسى عليه السلام ،

---

١ - انظر سورة الأعراف من الآية رقم: ٨٥ إلى الآية ٩٣.

٢ - انظر: القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن، ص١٢. ومنهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٢٤٩. دار الشروق بيروت.

وناقة صالح عليه السلام ، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى من عيسى عليه السلام ، وشق القمر من قبل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

وما قصه النبي الكريم ﷺ من قصص الغيب بتفاصيله، مصدره الوحي، سواء أكانت أحداثه وقعت في الماضي البعيد، كالقصة التاريخية، أو كانت ستقع في المستقبل قبل قيام الساعة، مثل أحاديث الفتن والملاحم، وأحاديث البعث واليوم الآخر في صور قصصية، فإن النبي ﷺ لم ينشئ ذلك كله من عند نفسه، أو تلقاء من غيره من علماء الناس، وإلا لاتخذه خصومه حجة عليه، ثم إنه يأتي كل يوم بما ينقض ما لدى علماء أهل الكتاب من علم يتصل بالعقائد والتاريخ وغيرهما [1].

ولا تترك الآية القرآنية مجالاً للشك فتقول: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

أما الغيب بالنسبة للإنسان فهو مخفي مستور، ولا يعلم فيه شيئاً إلا قدر ما عَلَّمَهُ الله عن طريق أنبيائه، من أحداث الماضي المجهول، ووقائع الآتي البعيد، وكذلك المعجزات لا يعرف كل خباياها وظواهرها إلا الله، ويدرك الإنسان منها ما يشاهد ويراه ويعلم عنه، فإذا عرض قضية من قضايا الغيب والمعجزات أو أخذها بالوصف والنقل، فإن علمه- بلا شك- محكوم بحدود طاقته البشرية، وعلمه وقصوره الذاتي عن الإحاطة بكل الأمور، من جميع جوانبها.

---

١ - القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزبير، ص٣٥٤.

بينما نجد الصورة المعروضة في قصص القرآن دقيقة غاية الدقة، صادقة غاية الصدق، واسعة غاية الوسع، واضحة في الملامح والقسمات، شاخصة للعيون والأبصار، ونذكر -على سبيل المثال- قصة قرآنية مأخوذة من صميم الغيب تتناول مشهداً من مشاهدة الآخرة، وتعالج موضوع عقيدة أهل الكتاب في عيسى عليه السلام، وتفند مزاعمهم في تأليهه، وهي من قوة التعبير وجلال التصوير ما يجعلها في الحسن حاضراً مشهوداً، فتبدأ محاكمة عيسى عليه السلام بهذه الصورة المشخصة [1].

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

٥- **قصص القرآن نظيف**: من آفات القصص الأدبية والفنية ومفاسدها، أنها تجعل المشاعر الحسيّة أساساً تنطلق منه في أفكارها، وأحداثها، وتوجهاتها،

---

١ - منهج القصة في القرآن، محمد شديد، شركة عكاظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص٤١ بتصرف.

وأهدافها، ولا تخلو تلك القصص الأدبية من الإثارة والشهوة الحيوانية، وتصنع من لحظات الضعف البشري ما يستحق الإعجاب والتصفيق[١].

أما قصص القرآن فإنه يتناول موضوع الجنس ويطرحه ولكن في تجّمل عظيم، وبأدب جمّ، حيث لا تستأهل لحظة الجنس- منحرفة أو غير منحرفة- وقوفاً طويلاً، فيعرضها عرضاً واقعياً خالصاً ويسرع، ليسلط الأنوار على لحظة الإفاقة، لحظة التغلب على الضعف البشري، ويبرز طبيعة الإنسان المحبة للخير، المعجبة بجمال الخلق وقوة الفضيلة، ونبل المشاعر الطاهرة، والتقزز من قبح الفاحشة والانحراف، وهي في حقيقتها تتناول الإنسان الذي كرّمه الله، وفضله على كثير من الخلق[٢].

ونستطيع أن نلاحظ خصيصة " النظافة" في القصة القرآنية من خلال قصة يوسف عليه السلام ، حينما راودت امرأة العزيز فتاها عن نفسه، وأصرت على الفاحشة، فإذا بها في آخر القصة تفيء إلى ظلال الإيمان وتقول: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

١ - منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٢٣٥.

٢ - مجلة البعث الإسلامي، المجلد الثامن والأربعون، العدد العاشر، ص٦٧-٧٧ بتصرف.

ظاهرة التكرار في القصص القرآنية: سنتحدث عن الخصيصة السادسة من الخصائص الفنية للقصة القرآنية-بانفراد عن الخصائص السابقة- وإن كانت واحداً منها، كظواهر من ظواهر القصة القرآنية.

٦- **إيراد بعض القصص في أكثر من سورة:** وهذه سمة من السمات البارزة والملامح المميزة للقصص القرآني، وفي هذا ما يدل على بلاغة النظم القرآني وإعجازه[١].

أما الناظرون في كتاب الله تعالى، بهدف التشكيك والطعن- قاتلهم الله- يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا ذكرت أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع كالقصص وموضوعات العقيدة وبعض الجمل والآيات، وسمّوا ذلك تكراراً.

ولكن الكثير من المتدبرين رأوا في هذا التكرار سحر بيان، وتثبيت بنيان، فعدوه بلاغة وإعجازاً، ووجدوا فيه منهجاً قوياً، وهدفاً عظيماً، وبرهنوا على ذلك بما عرفته العرب في كلامها شعراً ونثراً [٢] وإليك بيان ذلك:

---

١ - المرأة في القصص القرآني، د. أحمد محمد الشرقاوي ،ص٣٤.

٢ - القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حين عباس ص١٣-١٤ بتصرف.

قال ابن قتيبة رحمه الله[١]: "وأما تكرار الأنبياء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض، تيسيراً منه على العباد، وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظ، بعد وعظ تنبيهاً لهم من سِنَةِ الغفلة، وشحذاً لقلوبهم بتجدد الموعظة، وناسخِ بعد منسوخ، استعباداً لهم، واختباراً لبصائرهم، يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[الفرقان: ٣٢].

ويقول ابن كثير في تفسيره[٢]: "يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنُّتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم، حيث قالوا:﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾أي هلاّ أنزل عليه هذا الكتاب الذي أُوحي إليه جملةً واحدةً، كما نزلت الكتب قبله جملةً واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية"؟ فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منّجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يُحتاج إليه من الأحكام ليثبَّت قلوب المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ ﴾[الإسراء: ١٠٦].

---

١ – تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص١٨٠.

٢ – تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير الدمشقي، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١ ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص٢٩٧.

ثم يقول: (وكانت وفود العرب تردُ على رسول اللهﷺ للإسلام فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها فقي كل سمع ويثبتها في كل قلب).

وقد أخبر الله تعالى بالسبب الذي من أجله كرر الأقاصيص والأخبار ففي القرآن قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١].

وقال تعالى:﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[طه: ١١٣].

وقال الرافعي في كتابه " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" [1]: التكرار في القصص القرآني من أوجه إعجازه حيث يرد المعنى في صور متعددة وبعبارات مختلفة، وهو مذهب للعرب معروف..، بيد أن وروده في القرآن الكريم مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته لقوة غريبة فيه، ولضعف غريب في

---

١ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي، دار الكتاب العرب، ط٩، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م، ص١٩٤ بتصرف.

أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوب بصورتين أو صور كل منها غير الأخرى وجهاً أو عبارة، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون).

ويؤكد الأستاذ عفيف طبارة في كتابه " مع الأنبياء في القرآن الكريم"[١]: على لون التكرار وحياً إلهياً يستشعره كل مطلّع على أسرار فصاحة اللغة العربية، فمعاني القصة ترد مكررة في مواضع شتى من سور القرآن، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وهذا التكرار البليغ برهان على كونه وحياً إلهياً.

وإن تكرار القصة في أكثر من سورة دليل على التأكيد على عبرها في الوجدان والتمكين منها في النفوس، قال بعضهم: ذكر الله موسى في مئة وعشرين موضعاً في كتابه العظيم، وقصة نوح في خمس وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية، فلم يخل تكرارها من فائدة خلت عنه في موضع آخر.

ويؤكد عبد الغني الراجحي: " أن التكرار من أقوى وسائل الإقناع وتركيز الفكرة والعقيدة في النفس البشرية"[٢].

---

١ – مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط١٨، ١٩٩٣م، ص٢٦.

٢ – النهج القويم في دراسة علوم القرآن الكريم، د. عبد الغني عوض الراجحي، طبعة البابي الحلبي، بدون تاريخ.

ويؤكد الدكتور التهامي نقره في كتابة " سيكولوجية القصة في القرآن"[١]: (أن تكرار القصة في عدة سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلى تمكين هذه السنن وتثبيتها في القلب حتى تقوى داعية الإصلاح عند المصلح فلا يجد اليأس سبيلاً إليه، وقد كان من تربية الله لنبيه محمد ﷺ أن قصّ عليه من سير الأنبياء ما يسليه، لأن نفوس المفسدين في كل زمان ومكان متقاربة، ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة.

والقرآن لم يقتصر في مثل هذه المقامات التي يثبت فيها القلوب ويقوي العزائم على ذكر قصة واحدة لأحد الأنبياء يستدل بها، بل قدّم طائفة من قصص الأنبياء بقصد توكيد هذه الحقيقة، وتقرير أنها من سنن الله تعالى التي لا تتخلف).

وأشار الإمام الزركشي- رحمه الله- في كتابه "البرهان في علوم القرآن"[٢]. إلى أن التكرار في معاني القرآن بعامة، وإلى التكرار في القصة بخاصة، فبين أن التكرار أسلوب من أساليب العرب، وأن الكلام حينما يكرر فإنه في النفوس يقرر. ثم ذكر الحكمة من إيراد بعض القصص القرآني في أكثر من سورة وجوهاً كثيرة منها: أنه ألبسها زيادة ونقصان وتقديماً وتأخيراً، ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها، فيكون شيئاً معاداً فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات.

---

١ - سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، د. التهامي نقره، ص١١٦.

٢ - البرهان في علوم القرآن، للأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ٣/ ١٠-٢٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة، ط٢ بيروت، ١٩٧٢ بتصرف. والقصص القرآني، فضل حسن عباس ص١٩.

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ ويعجبون من اتساع الأمر في تكرار هذه القصص، مع تغاير أنواع النظم وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه وتعالى أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف: ١٠٩] وكقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ [لقمان: ٢٧].

فالقرآن الكريم يستعرض المشاهد القصصية بأسلوب فريد متميّز، فيطيل تارة ويقصر أخرى، ويجمل تارة ويفصل أخرى.

فمن القصص المفصلة: قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة نوح عليه السلام في سورة هود، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى.

إن هذا التكرار يفي بالغرض، فإن القصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى.

أما التي ذكرت مرة واحدة، فلم تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان من الأنبياء عليهم السلام ودعواتهم، إنما تدور حول جوانب إنسانية وقِيَمَ أخلاقية.

ولعل القصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة، فذكرت أكثر من مرة، وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة "قصة آدم"، ولكنها تتناول النواحي الفطرية والجوانب الرئيسية في حياة الإنسان، والغرائز التي تتكون منها طبيعته، لذا تكررت قصة آدم في أكثر من سورة[١].

وهكذا نرى بأن الله تعالى يكرر القصة في كتابه العظيم مرات عديدة، ولكنه في كل مرة يتناول منها جانباً معيناً.

من ذلك قصة موسى عليه السلام ، فقد ذكر الله تعالى قصته في مواضع كثيرة من القرآن، فلم يخل تكرارها من فائدة، وعلى سبيل المثال ذكر عصا موسى عدة مرات، ولكنه ذكرها في مشاهد مختلفة، فذكرها مرة وقد انقلبت حية، ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ٢٠]، ثم ذكرها في موضع آخر، وقد انقلبت ثعباناً: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧]، وفي موضع ثالث رآها كأنها جان: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: ١٠].

القصة نفسها أبطالها موسى وعصاه، لم يتغير شيء في الأبطال ولا في الظلال، كل ما حدث أن أسلوب التقديم الإلهي هو الذي أعطانا تأثيراً مختلفاً.

---

١ – القصص القرآني، د. فضل حسن عباس، ص٢٢-٢٧ بتصرف.

وفي الوقت نفسه نراه يستعرض قصة أخرى لمرة واحدة مثل قصة يوسف، وقصة أهل الكهف، ولا شك في أن وراء ذلك حِكَماً عظيمة، إن ورود القصة الواحدة في سور عديدة، وبتغييرات لفظية وأساليب مختلفة، شاهد حق على بلاغة وعظمة القرآن الكريم، وعظيم أسلوبه، وغايته، وأهدافه.

ومُحال على أي كاتب قصة بشري، مهما تكن كفاءة ونبوغ كتابته، أن يحكي لنا نفس القصة أكثر من مرة، مع الاحتفاظ بنفس مستواه الإبداعي في كل مرة، لا بد أن يتغير مستواه، ولا بد أن يكرر نفس ما قاله دون أن يأتي بمؤثر جديد.

غير أننا ننظر في القصص القرآني فنرى القصة يحكيها الله تعالى مرات عديدة بنفس المستوى، ولكن بتأثير مختلف في كل مرة حسب السياق، إن صاحب القصة ليس هو النبي البشر، إنما هو رب العالمين سبحانه وتعالى.

رغم أن الأحداث وقعت في تاريخ البشر، وكلماتها قالها البشر، وأبطالها من البشر، غير أن الرؤيا والطريقة والأسلوب الذي تقدمه هذه القصص هو الشيء الإلهي المعجز.

إن التكرار معجزة في فن كتابة القصة القرآنية، لا ترى لها مثيلاً في أي كتاب على وجه الأرض، غير أن هذا الكتاب العظيم الذي بلغه إلينا محمد ﷺ كان سبباً لاتهام العرب له مرة بأنه شاعر، ومرة بأنه يحكي أساطير الأولين، ومرة بالسحر، لأنهم لم يكونوا يعرفون من أشكال التعبير الفني غير الشعر والأساطير القديمة.

فللتكرار أشكاله في كتاب الله العزيز والجبار، وله دلالته الإعجازية: منها: تكرار صفات الله، يدل على الاهتمام بمعرفتها، والعمل بها.

وتكرار القصص، يدل على الاهتمام بالوعظ والإرشاد، فمنها ما يحث على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان.

وتكرار ذكر الأحكام، يدل على الاهتمام بطاعة الله واجتناب معصيته. وتكرار الأمثال، يدل على اهتمام بالبيان والتوضيح لأمر، والتأكيد والتدليل عليه بمثال. وتكرار ذكر النعم التي أنعم الله علينا بها، يدل على الشكر لله تعالى والامتنان له. وتكرار الوعد والوعيد، فالوعد تكراره يدل على الاهتمام بفعل الطاعات ترغيباً في ثوابها، وتكرار الوعيد يدل على الاهتمام بترك المخالفات ترهيباً من عقابها.

ولنعلم أنّ العرب لا تؤكد إلا ما تهتم به، فمن دلائل الاهتمام والمحبة لشيء الإكثار من ذكره، فالتكرار يفيد التوكيد والإصرار على المضمون الذي يريد إبلاغه للناس، وخاصة للمؤمنين بكتابه العزيز وهدى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

وإن القرآن الكريم كتاب دعوة ورسالة، وفي سياق نشر الدعوة يجيء القصص بالقدر والطريقة التي تناسب المقام، والسياق، لتحقيق العظة والاعتبار.

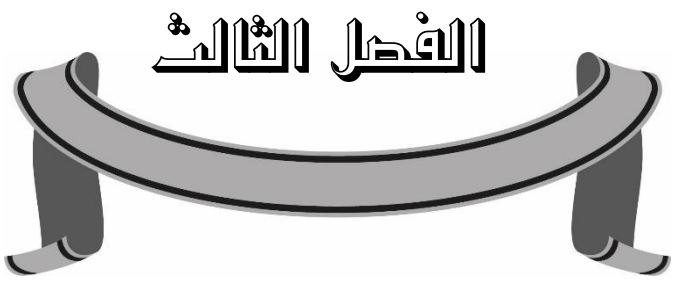

دراسات أدبية وتربوية في القصة القرآنية

المبحث الأول: أهداف القصة القرآنية، وأغراضها.

المبحث الثاني: الميزات الفنية لأسلوب القصة القرآنية

المبحث الثالث: أنواع القصة القرآنية

المبحث الرابع: عناصر القصة القرآنية مقارنة بالقصة البشرية

➢ المبحث الأول

أهداف القصة القرآنية، وأغراضها

شغلت القصة القرآنية من كتاب الله تعالى مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصة من نصيب، فحيِّز القصص القرآني الذي شغله من كتاب الله تعالى لايقلُّ عن الربع إن لم يزد قليلاً، فإذا كان القرآن الكريم ثلاثين جزءاً، فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد، لأن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً فقط، بل إن هذا القصص كان له أهداف كثيرة وغايات عديدة، ولكن كلها تصب في الهدف الرئيسي للقصة (وهو الغرض الديني)، وتعمل على تحقيقه ألا وهو تربية نوع الإنسان على ضوء النهج الإلهي تجاه طريق الفطرة المنتهي إلى الإيمان بالله تعالى، إن هذه التربية على القصة القرآنية تضمن له خير المسالك لتبوُّؤِ أفضل المراتب وتحول بينه وبين المهالك.

فهي على رأس الوسائل التي سلكها المصلحون إلى قلوب الناس وعقولهم، لكي يسلكوا الطريق القويم، ويتجنبوا الرذائل ويعتنقوا الفضائل، ويتعظوا

بالسابقين، وإذا أردنا التفصيل فإننا نجد أن القصص القرآني جاء ليحقق الأغراض والأهداف التالية[١] :

أولاً: بيان أن الرسل جميعاً قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها، ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وأداء التكاليف التي كلف الله تعالى بها خلقه، وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن أول كلمة قالها كل رسول لقومه، هي: أمرهم بعبادة الله تعالى، ونهيهم عن عبادة أحد سواء.

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه - كما حكى القرآن عنه القرآن الكريم- :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وهذا صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

---

١ - القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج٢، نهضة مصر للطباعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣١٢بتصرف. والإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، والدكتور حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٨١م، ص١٥٠-١٥٤ بتصرف.

فهذه الجملة الكريمة حكاية لما وجّه هؤلاء الأنبياء لقومهم من إرشادات وهدايات، أي: قالوا لهم بكل لطف: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فإنه هو المستحق للعبادة، أما سواه فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

ويحكي القرآن الكريم هذا المعنى على لسان كل نبي فيقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] (١).

(وبهذا تكون وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، فضلاً عن أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد، وتبعاً لهذا كانت قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضاً)(٢).

ثانياً: بيان أن هذا القرآن من عند الله تعالى، وأن ما اشتمل عليه هذا القرآن من قصص للسابقين، لا علم للرسول ﷺ به، وإنما علمه بعد أن أوحاه الله تعالى إليه، وأنه صادق فيما يبلغه عن ربه: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

---

١ – القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ص٣-١٢ بتصرف.

٢ – الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، ود. حسن عون، ص١٤٨.

أي: تلك القصة التي قصصناها عليك عن نوح وقومه من أخبار الغيب الماضية، التي لا يعلم دقائقها وتفاصيلها أحد سوانا، ونحن نوحي إليك ونعرّفك بها عن طريق وحينا الصادق الأمين، فاصبر على تبليغ ما أمرك الله بتبليغه كما صبر أخوك نوح من قبلك، فالآية الكريمة تعقب حكيم على قصة نوح عليه السلام ، قصد به الامتنان على النبي ﷺ، كما قصد به الموعظة والتوجيه والعبرة للناس.

ثالثاً: تثبيت فؤاد النبي وتخفيف ما أصابه من قومه، وحثه على الاقتداء بإخوانه، وتبشيره بأن العاقبة الطيبة ستكون له: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

إن الله سبحانه يريد التخفيف عن النبي ﷺ، وأن ما أصابه قد أصاب الرسل من قبله، والمصيبة إذا عمت خفت، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]، لقد جاءك أيها الرسول الكريم من أخبار إخوانك الأنبياء السابقين ما فيه العظات والعِبَر، فعليك أن تستبشر بأن النصر سيكون لك ولأتباعك[1].

---

١ – القصة في القرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوي، ص٣-١٢ بتصرف. والإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، والدكتور حسن عون، ص١٥٠-١٥٤ بتصرف.

رابعاً: الاعتبار والاتعاظ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف: ١١١].

والعبر والعظات التي نأخذها من قصص القرآن الكريم، لها صور شتى منها: بيان حسن عاقبة المؤمنين، الذين ثبتوا على الحق، وابتعدوا عن الباطل، وتابوا إلى الله تعالى توبة صادقة، وشكروا الله تعالى على نعمه، بأن استعملوها فيما يُرضيه لا فيما يُسخطه[1]، وتحذير من عاقبة الشعور بالاستغناء عن الله تعالى والتكبر والغرور، (كقصة قارون) التي ذُكرت أساساً لهذا الغرض حيث يقول تعالى معقباً عليها: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، وكقصة أصحاب الجنة الذين خسروا كل شيء في لمحة بصر بسبب غفلتهم عن ذكر الله تعالى، وكقصة صاحب الجنة الذي قال عنه تعالى مشيراً إلى الغرض من سوق قصته: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥].

وعشرات القصص التي لا يتسع المقام لذكرها.

---

١ - المراجع السابقة.

خامساً: في القصة القرآنية من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحِكَمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها[١].

سادساً: ومن فوائد دراسة القصص القرآني تصديق الأنبياء السابقين، وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم، ومن ذلك أيضاً محبة الأنبياء والمرسلين وموالاتهم، وذلك من مكملات الإيمان بهم، ومعاداة أعدائهم وبغضهم[٢].

ولا شك أن محبة الأنبياء من أعظم أسباب دخول الجنة لقوله ﷺ: **(المرء مع من أحب)** [٣].

سابعاً: ويضيف أحمد محمد الشرقاوي[٤] على أهمية القصص القرآني لبيان عداوة إبليس اللعين للإنسانية جمعاء وجذور هذه العداوة وامتدادها وكثير من أخطارها عبر العصور والأجيال.

---

١ – تيسير المنّان القرآنية، د. محمود السيد حسن مصطفى، د. حسن عون، ص١٥٠-١٥٤ بتصرف.

٢ – المصدر السابق ص١٧.

٣ – رواه البخاري :كتاب : فضائل الصحابة، باب : مناقب عمر بن الخطاب، رقم (٣٤٨٥) ٦/ ٥٥٧، الأدب، ومسلم: كتاب : البر والصلة والأدب، باب : المرء مع من أحب، رقم (٦٨٧٨). ١٦/ ١٨٧ ، عن عبد الله بن مسعود بهذا اللفظ، ورواياه عن أنس بلفظ: " أنت مع من أحببت" ورواه الترمذي عن أنس وعن صفوان بن عسال: ٩/ ٢٣٣ الزهد.

٤ – المرأة في القصص القرآني، د. أحمد محمد الشرقاوي، ج١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص٢١.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فلقد كشف لنا القرآن الكريم عن عداوة الشيطان الرجيم ومخططاته ووسائله في إضلال البشرية وإغوائها.

ثامناً: ومن أغراض القصص القرآني مقارعة أهل الكتاب بالحجة والبرهان، ومواجهتهم بما وقعوا من التحريف والتبديل والكتاب، وبيان القول الفصل فيما اختلفوا فيه، والإجابة على تساؤلاتهم وتفنيد مزاعمهم وشبهاتهم ودحض حججهم ومفترياتهم، قال تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

تاسعاً: ويضيف الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (القصص من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته ومزج تعاليمه بالقلوب، والقصص القرآني تاريخ لسير الدعوة في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر التاريخ)[1]. ويقول الدكتور محمد السيد الوكيل: (القصة من أبرز الأساليب

---

١ – نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي السقا، ط دار الكتب الحديثة، ط٥ ،ص١١٠ بتصرف.

القرآنية في الدعوة إلى الله، ومعالجة المشكلات، فهي أسلوب أخّاذ يستحوذ على القلوب، ويسيطر على النفوس، ويهيئ العقول لحسن التلقي فتذعن له في يقين، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة)[١].

عاشراً: هذا كله، عدا ما في القصة القرآنية من رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة، ما ترقص له قلوب الأدباء، وعدا ما فيها من المواقف والتحاليل النفسية التي يجد فيها علماء النفس بُغيتهم[٢].

وستبقى القصة القرآنية المنارة التي تضيء للبشرية نور الإيمان، وستظلّ نفحة ربانية تصل الحاضر بالماضي، فيتعظ بها الإنسان بمن سبقوه، فيهتدي بهديهم.

كانت تلك بعضاً من أغراض وأهداف القصة القرآنية يعتمد عليها القرآن الكريم في الأسلوب القصصي ليحقق هدفه الأكبر، ألا وهو هداية البشرية وتربيتها على النهج الرباني الحكيم.

١ - نظرات في أحسن القصص، د. محمد السيد الوكيل، ط دار القلم بسوريا، ط١ ١٤١٥هـ:١/ ٨.

٢ - القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، ط دار الفرقان عمان، ط١، ١٩٨٧م، ص١١.

المبحث الثاني

الميزات الأسلوبية للقصة القرآنية

انفرد قصص القرآن الكريم بخصائص ومميزات لم تكن لغيره من القصص، مما جعله أَجَلَّ شأناً وقدراً من أن تنطبق عليه شروط القصة الحديثة، فإن لقصص القرآن مصطلحاً خاصاً به لا يتعداه، لذا فإن عناصرها تابعة للهدف منها، وهو الدعوة والتربية، أو العظة والعبرة، بينما نجد القصص الأخرى خاضعة لعناصرها الفنية، لذا لا يمكن إخضاع القصة القرآنية للقواعد النقدية، والمعايير الحديثة التي أنتجها البشر، لتقويم القصص البشرية الأدبية، وذلك لوجوه:

أولاً: يقصد بالمقاييس الأدبية الجيد من الرديء، بوساطة تسليط هذه الآليات على النصوص على أساس وضعها البشري الذي يحتمل الوجهين، بينما الأمر ليس كذلك في النص المقدس ذي الوضع الإلهي الذي لا يحتمل إلا الصواب بمقتضى الكمال الإلهي المنزه عن الخطأ [1].

ثانياً: القواعد النقدية المقررة لدى النقاد للحكم على القصة في الأدب الحديث: ليست ثابتة الأصول، بل إنها قد لا تعمر كثيراً، ولا أدل على ذلك من

---

١ - المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، د. سيد عبد الرزاق، ص٣٩ وما بعدها، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م

أنهم كانوا لا يرون ضرورة أن تكون مشتملة على أمور ثلاثة: العرض، والعقدة، والحل، ثم تغيرت تلك النظرة لمقومات القصة، فلا مانع أن تكون هناك قصة دون عقدة، أو دون حل كذلك[١].

ثالثاً: ليست القصة في القرآن عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرّة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق[٢]، وإنما هي إحدى الوسائل القرآن الكثيرة لإبلاغ الدعوة وتثبيتها [٣]، ولكن لم يمنع خضوع القصة للغرض الديني، بروز الخصائص الفنية التي يحويها بناء القصة في القرآن، بحيث تكون نابعة من النصوص القصصية ذاتها دون أن تفرض عليها فرضاً ولو بالقسر، إذ يجعل القرآن الكريم الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس[٤].

والنبي الكريم ﷺ سار في ركاب القرآن واستمد منه، فالقصة النبوية نور مقتبس من مشكاة القصص القرآني[٥].

---

١ – القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، ص٢١. دار الفرقان عمان، ط١ ١٩٨٧م.

٢ – التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت، ص١٤٣، ط٧، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

٣ – نفس المصدر السابق، ص١٤٣، والقصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير، ص٤٢٧.

٤ – نفس المصدر السابق، ص١٤٣

٥ – القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير، ص٦٦.

وقد تناول العلماء والباحثون هذه الخصائص الفنية العامة، وعلى رأسهم سيد قطب في "التصوير الفني في القرآن"[١]، والتي تحقق الغرض الديني للقصة عن طريق الجمال الأسلوبي، إذ إن هذا الجمال يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

والبحث في هذا الجمال يتناول أربع ظواهر فنية لها حساب معلوم في الدراسة الفنية للقصة الحرة في عالم الفنون.

أ. أولاً: هذه الخصائص الفنية توزع طريقة العرض

فقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة، على النحو التالي:

١- مرة يذكر ملخصاً للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها: وذلك كطريقة قصة أهل الكهف، فهي تبدأ هكذا: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ

١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٤٦-١٦١ بتصرف.

بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ٩ – ١٢]، وذلك ملخص القصة.

ثم تتبعه تفصيلات تشاورهم قبل دخول الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم، ويقظتهم، وإرسالهم واحداً منهم ليشتري لهم طعاماً، وكشفه في المدينة، وعودته، وموتهم، واختلاف القوم في أمرهم، وبناء المسجد عليهم... إلخ، فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوّقة للتفصيلات.

٢- مرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في سورة القصص، وهي تبدأ هكذا: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٢ – ٦].

٣- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يُغْنِي، مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجآتها

معروفة، وسنعرضها بالتفصيل في المباحث التالية، وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس، وسنعرضها في المباحث القادمة.

٤- ومرة يجعل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها، وذلك كمشهد قصة إبراهيم وإسماعيل: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، هذه إشارة البدء، أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، إلى نهاية المشهد، ولهذا نظائره في كثير من قصص القرآن الكريم.

ب. وثانية هذه الخصائص الفنية للقصة القرآنية:

تنوّع طريقة المفاجأة [١] :

١- فمرة يُكْتَمُ سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشف لهم معاً في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف[٢].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ

---

(١) الكهف ٦٠-٧٠.

٢- علوم القرآن، د.عدنان محمد زرزور، ص٣٨٦وما بعدها، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٩٨١م.

مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ * قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ [الكهف: ٦٠ – ٧٨].

فإلى هنا نحن أمام مفاجآت متوالية، لا نعلم لها سراً، وموقفنا منها كموقف بطلها موسى، بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، ولا ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا، وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الكونية العليا، التي تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها[1]، وإن القوى المجهولة لتتحكم في القصة منذ نشأتها، وكل الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض مجهول، ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه

١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ١٤٦-١٦١

النظارة حين يعلمه موسى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٩ – ٨٢].

وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدا ونتساءل: من هذا؟

لن نلقى جواباً !! لقد مضى في المجهول، كما خرج من المجهول.

فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مجهولة أبداً.

٢- ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في غموض، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، يشترك النظارة فيها منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين!!.

وقد شاهدنا مثلاً من ذلك في قصة أصحاب الجنة[١] ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾[القلم: ١٧ – ٢٠].

وبينما نحن نعلم هذا، كان أصحاب الجنة يجهلونه: ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾[القلم: ٢١ – ٢٥].

وظللنا نحن نسخر منهم، وهم يتنادون ويتخافتون والجنة خاوية كالصريم، حتى انكشف لهم السر أخيراً، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾[القلم: ٢٦ – ٢٧]، وذلك جزاء من يحرم المساكين!!.

٣- ومرة يكشف بعض السر للنظارة، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر، في القصة الواحدة، مثال قصة عرش بلقيس، الذي جيء به في غمضة عين، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلّت تجهل ما نعلم: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] ! فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير، ظلّت خافية علينا حتى فوجئنا بسرها معها، حينما قيل لها:

١- المرجع السابق.

﴿ ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]، وسنذكر القصة بالتفاصيل في موضعها إن شاء الله.

٤- ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته: وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل، فتقول: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ [مريم: ١٨].

نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه الروح، ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [مريم: ١٩].

وقد فوجئنا كذلك معها إذ أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٣ – ٢٤].

ج. وثالثة الخصائص الفنية في عرض القصة:

تلك الفجوات بين المشهد والمشهد:

وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب، (كقصة يوسف)، فالقصة قُسمت ثمانية وعشرين مشهداً، فلنعرض بعضها: لقد كان يوسف على خزائن الأرض حين قابل إخوته في سنوات الجدب يطلبون القمح،

فطلب إليهم أن يحضروا أخاهم، فأحضروه- على كره من أبيه-، ثم وضع صُوَاع الملك في رحله، وأخذ به رهينة، باسم أنه سارق، ليبقيه يوسف عنده!.

ثم ها هم إخوته يتنحون جانباً ليتشاوروا في أمرهم، وقد أبى عليهم يوسف أن يأخذ أحدهم مكانه[1]. ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٠ – ٨٢].

وهنا يُسدل الستار، لنلقي بهم في مشهد آخر لا في مصر، ولا في الطريق، ولكن أمام أبيهم، وقد قالوا ما وصاهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولون، إنما يرفع الستار مرة أخرى، لنجد أباهم يخاطبهم: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣]،ويسدل الستار.. وهكذا إلى آخر القصة.

١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٤٦-١٦١ بتصرف.

وسوف نستعرضها في مكانها، وتسير قصة أهل الكهف ومريم وسليمان على النسق نفسه.

د. أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية التصوير والخيال في القصة:

إن التعبير القرآني يتناول بريشة التصوير المبدعة، إن هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات.

وليست هذه الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو في مشاهد القصص جميعاً [١].

وهكذا خضعت القصة القرآنية للغرض الديني، فكان من أثر هذا الخضوع أن تقدم بالقدر الذي يخدم هذا الغرض، وأن تعرض بأشكال تتفق معه، فتعرض القصة مرة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة كاملة، وتارة تعرض ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك حسبما تخدم العبرة في القصة متجاوزة بذلك العرض التاريخي، لأن القرآن الكريم ليس كتاباً في التاريخ، بل هو كتاب دعوة إلى الله تعالى، عبر أحداث وقعت في التاريخ.

١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٤٦- ١٦١ بتصرف.

كما أن هناك قصص أنبياء بدأت عرضها بميلادها، وركزت على مولدها، لأثر هذا الميلاد على المُوْحَى إليه، مثل آدم الذي جاء ميلاده بالأمر ونفخة الله بالروح، وعيسى الذي جاء ميلاده من غير أن يلمس أمّه الصديقة رجل، وموسى الذي جاء مولده في عصر يذبح في فرعون كل مولود ذَكَرٍ لبني إسرائيل.

وهناك قصص أنبياء تعرض، فإذا هي تتجاوز ميلاد النبي وتبدأ القصة من صباه، وهو فتى، لما له من علاقة وثيقة بالقصة، كقصة يوسف تبدأ برؤيا يراها وهو صبي، وبعدها تلعب هذه الرؤيا دوراً رئيسياً في حياته، حتى تفسر رؤياه بعد ذلك بسجود إخوته الذين كادوا إليه، وكادوا يقتلونه من قبل، وقصة إبراهيم تبدأ وهو فتى ينظر إلى السماء ويفكر كيف يعبد الناس الكواكب والنجوم والشمس، وهي جميعاً مخلوقات تظهر ثم تغيب، وقصة داود تبدأ وهو شاب صغير، لا يدري شيئاً عن القتال، ثم تدفعه الحياة دفعاً إلى صراع مع جالوت - أخطر الفرسان المحاربين بعصره -.

وهناك قصص تعرض في حلقة متأخرة نسبياً، مثل قصص نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وكثير من الأنبياء غيرهم، إن السياق القرآني لا يذكر لنا شيئاً عن ميلادهم أو شبابهم، إنما نفاجأ أننا أمام نبي يبرز على مسرح الأحداث فجأة عندما يأتيه الأمر الإلهي بإبلاغ الدعوة فيبدأ أداء دوره.

وهناك قصص تذكر بجميع حوادثها وتفصيلاتها، وقصص تمهل بعض حوادثها.

وهناك قصص طويلة، مثل قصص موسى وإبراهيم ونوح.

وهناك قصص قصيرة، مثل قصص هود وصالح ولوط وشعيب.

وهناك قصص متناهية في القصر، مثل قصص زكريا وأيوب ويونس.

وهناك قصص تعرض في سياق قصص أخرى، كقصة يعقوب، إذ تعرض في سياق قصة يوسف.

ثم تذكر مرة أخرى عند موته، وهو يسأل أبناءه ماذا يعبدون من بعده؟.

وهناك قصص أنبياء يشار إليهم بالاسم ولا يذكر أي حدث من أحداث حياتهم، مثل إدريس واليسع وذي الكفل وإلياس.

وهناك قصص تعرض بغير ذكر أسماء أو أعداد على الإطلاق، إن قصة الكهف تُعرض فلا يذكر أسماؤهم ولا عددهم، ويُكتفى بذكر الفترة التي قضوها نائمين في الكهف مع كلبهم، وهي تسع سنوات وثلاثمئة.

وهكذا يختلف أسلوب القرآن في عرض قصص الأنبياء والأولين والصالحين، بتنوع الأسلوب، ويختلف من الناحية التاريخية، كما يتنوع الأسلوب ويختلف من الناحية الفنية أيضاً.

ويخدم هذان الغرضان الناحية الدينية، أو ناحية الدعوة.

➢ المبحث الثالث

أنواع القصة القرآنية

يستخدم القرآن الكريم لدعوته كل أنواع القصة:

١- **القصة التاريخية**: المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، منها قصص الأنبياء والمكذبين بالرسالات.
٢- **القصة الواقعية**: التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية (كقصة ابني آدم).
٣- **القصة التمثيلية**: (كقصة صاحب الجنتين) والتي لا تمثل بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات، وفي عصر من العصور[١].

فالقصص القرآني هو إخبار الله تعالى في كتابه الكريم عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وبناء على هذا التعريف فالقصص القرآني يشتمل على:

- **قصص الأنبياء**: وقد تضمن مناهجهم في الدعوة إلى الله تعالى، ومعجزاتهم التي أيّدهم الله بها، وأخلاقهم، ومواقف المعاندين منهم، وجزاء المؤمنين وعاقبة المكذبين الضالين.

١- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، د. دار القلم القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م، ص٢٣٥.

- **قصص تتعلق بحوادث غابرة وأشخاص ليسوا أنبياء**: كقصة قابيل وهابيل، وأصحاب الكهف، وأصحاب الجنتين، وذي القرنين، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وأصحاب الرس، وقصة الفيل، وعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة.

- **قصص تتعلق بأحداث ووقائع حدثت في عصر النبوة**: كالإسراء والمعراج، والهجرة، وغزوة بدر، وأحد، وغزوة الأحزاب، وزواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، وحديث الإفك، وغزوة حنين، وتبوك، وقصة المجادلة التي ظاهر منها زوجها وغير ذلك[1].

١- مباحث في علوم القرآن، منّاع خليل القطّان: مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٢٧٣ بتصرف.

➢ المبحث الرابع

عناصر القصة القرآنية مقارنة بالقصة البشرية

١- الفكرة والموضوع:

عرض القرآن الكريم قصصه ضمن فكرة، وهذه الفكرة تجسد أنباء الرسل وأخبار الماضي، التي مضى بها الزمن، فألبسها ثوباً جديداً لكنه لم يغيّر من فكرتها ومضمونها، بل كان منسوجاً بأسلوب تتشابك فيه عناصر القصة، من أشخاص، وحوار، وحدث، في إطار من الزمان، ومساحة للمكان، فينقلها إلى أجوائنا، أو ينقلنا إليها على حد سواء بغية الاتعاظ والاعتبار!! والدعوة إلى الله تعالى والتوجيه إلى وجهه الكريم.

(فإذا كان القرآن قد سمى أنباء الرسل وأخبار الماضي قصصاً، فإنما يريد تلك الأنباء الصادقة الراجفة للمكذبين، الشافية لصدور المؤمنين، وليس فيها مجال لما يعتبره القصص الآخر، من خيال يسبح فيه الناظرون، لأن فيه مجالاً للسبح الخيالي الصادق غير مجال هذا الخيال الكاذب الذي يتجمل به القصاصون، فهو غني بروعة بيانه وصادق أحكامه وإتقانه. فالقصة التاريخية في جميع عهودها

وأدوارها تتغذى بالخيال الذي يلوّن الأحداث بغير ألوانها الحقيقة، وتعتمد على ذلك في إثارة الانتباه، وإلهاب العواطف)[١].

أما القصة القرآنية فهي عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن، فهي مصدر تاريخي كما يوصف بأنه أصدق الحديث في كل ما أخبر به، وفي جميع مقصده: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

٢- أسلوب العرض القصصي:

قد نتساءل: كيف يلبس القرآن الكريم هذه الأحداث الغابرة ثوباً جديداً، فيبعثها من جديد ويجعلك تعيش زمانها بتفاعل وصدق، فتستقي منها العبرة والعظة، لا بد أنه أسلوب شائق ببيانه وإعجازه وإلهامه الرباني.

وقد تتنوع أساليب القصة الأدبية البشرية، فأحياناً يفرض الكاتب نفسه على أشخاص قصته، فينطق بلسانهم ويروي سيرتهم، فيحرّك الحدث من خلال تحريك الأشخاص وما ينقله عنهم وعلى لسانهم في قوله: قال أحدهم، وقالت أخرى.

وقد يجعل الكاتب أشخاصه في قصته أنفسهم فيتحدثون بألسنتهم فيثبتون وجودهم، وتختفي شخصية الكاتب عندها وراء وضوحهم وتحريكهم للحدث

١- بحوث في قصص القرآن، السد عبد الحافظ عبد ربه، ص٥١-٥٢ بتصرف.

من خلال الحوار، فتختفي بذلك كلمة: قال فلان... التي ترد على لسان الكاتب، والتي تشير إلى شخصيته كمتحدث عنهم.

أما القصة القرآنية (ذات الهدف الهدائي والتربوي والدعوي) فتعتمد على الطريقة الأولى: طريقة الرواية التي تشعرك بأنك تسمع أخباراً لأشخاص لا يعيشون عصرك، ولكن كأنهم في عصرك، بعثوا من جديد، وهذا دليل على شدة صدق العرض القصصي في القرآن الكريم، وجلال مقامه، وعظمة هدفه، إذ إن هذه الأخبار من عند الله تعالى التي يحدّث بها عباده، فهو كلام الله وفوق حدود البشر.

٣- الزمان والمكان في القصة القرآنية:

أ- للزمان أهمية كبرى في القرآن الكريم عامة، وفي القصة القرآنية خاصة.

فقد أقسم الله تعالى في القرآن بالزمان، ليؤكد على دوره الهام في مسيرة حياة البشر، ومدى تفاعل الإنسان مع مساحة الزمن ليعطي للحياة قيمة وهدفاً ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ – ٢]، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١ – ٢]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ – ٢].

أما على صعيد القصة القرآنية فللزمن أثره الفعّال في سير الأحداث، ونقلها إلى نهايتها الطبيعية المنطقية، وهو الوعاء الذي يحتوي الحدث ويتفاعل معه ليجسدا معاً الهدف من الموضوع.

الزمان يجعل الأحداث تتحرك مع عقارب الساعة، ويقف الحدث عند محطات زمنية، يجسد من خلالها مراحل نمو الحدث وتطوره، إلى أن يصل إلى لحظة التنوير، فالنهاية المنطقية.

والقصة الناجحة هي التي تتفاعل أحداثها ضمن خيوط زمنية متسلسلة، يتسلسل من خلال سير الحدث إلى أن يصل إلى الهدف المرجو منها.

لقد تناول القصص القرآني عنصر الزمان تناولاً هاماً، فهو المحرك الأساسي للأحداث في أزمانها الغابرة، بل إن لكل قصة في القرآن زمنها الخاص بها، والتي تحدد موقعها في القرون الماضية والزمان الخالية.

لذا لا بد من الوقوف عند بعض المشاهد القصصية، لتحقق من مقام عنصر الزمان في جزيئات القصة.

فالليل، والصباح، والعشاء، والضحى، والنهار، كل هذه الألفاظ مما يرد ذكرها في قصص القرآن الكريم لتوضيح أغراض محددة.

فالليل وارد في قصة الإسراء، على وجه يبين أن الليل له خطره في إيقاع الأحداث العظيمة، فهو ما يرى فيه النبي ﷺ آيات الله الكبرى ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وذكر العشاء في قصة إخوة يوسف، لأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة، ولذلك تستر أخوة يوسف في غبشه وظلامه، وجاؤوا فيه إلى أبيهم يخبرونه هذا الخبر المشؤوم والمكذوب: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]، فهذه الجزئية من جزيئات الزمن حرص القرآن على ذكرها لأن لها مكاناً في سير الأحداث(١).

كما يذكر الله تعالى (الصباح، والإشراق، والضحى) ﴿ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٨]، ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣].

وإن لم يكن من قبيل القصص، ولكنه يشير إلى فعالية الزمان، وأن الله ينزل العذاب في هذا الزمان في الصباح المبكر، ومع الإشراقة الوليدة والوئيدة وذلك قبل أن يتحرك المجرمون من أماكنهم، وحتى تأخذهم الصيحة جميعاً، ولعلها لا تقع في الليل حتى يشاهدوا عذاب الله ويبصرونه واقعاً فيهم فيزداد وقعه عليهم، ويكون تعذيباً فوق تعذيب!!

١- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد ربه، ص٥٨-٥٩ بتصرف.

ولكي يبين الله تعالى أنه لا يحتاج في تنفيذ أمره إلى ترتيب معين من الأوقات، وأنه لا يبالي بالوقت، بل يستوي عنده أَجَاْءَ أمره ليلاً أو نهاراً[١].

ومن الخصائص العامة التي تنفرد بها القصة القرآنية فيما يتعلق بعنصر الزمان:

الخصيصة الأولى:

التسلسل الزمني: يتجه الزمان في القصة القرآنية إلى الأمام، فيبدأ من نقطة ولادة الزمن سالكاً مسلك التدرج الطبيعي في تتابع نمو الحدث، إذ ليس من الطبيعي للزمن أن يتحرك إلى الوراء، كما هو عليه أشكال الزمن في القصة البشرية، فقد اتخذت أساليب مختلفة للتعامل مع عنصر الزمن بغية إثارة العواطف على ناحية العبرة والموعظة الحسنة والهدف والغاية من الحدث.

كما خالفت القصة الفنية البشرية سير الزمان، فقد تبدأ عرض حوادثها من نهاية الحدث لتنتهي به إلى بدايته، كنهاية حتمية للقصة.

وقد تبدأ من منتصف الحدث لتعود إلى بدايته، ثم ينتهي به المطاف إلى النهاية.

لقد أباح الخيال القصصي لدى كتّاب القصة أن يخرجوا بالزمان عن سيره الطبيعي المتدرج بغية الإثارة والتشويق.

١- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص٥٨-٥٩ بتصرف.

أما أسلوب القصة القرآنية في التعامل مع عنصر الزمن، فهو يجري على التسلسل الزمني مع الأحداث، ويسير في مسيرة نموه الطبيعي المتدرج، وهذا يعود إلى مدى واقعية وصدق القصة القرآنية.

إن (قصة يوسف) خير دليل على التسلسل الزمني للحوادث، وذلك لمجيئها في موضع واحد رغم تفصيلها بجزيئات ضرورية في سير الحدث، وإن عنصر الزمن فيها لعب دوراً هاماً في تجسيد الدلالات، في قوله: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]، فهذه الجزئية من جزيئات الزمن، قد حرص القرآن على التأكيد عليها لما لها من أثر بالغ في سير أحداث القصة، فتحديد هذه الفترة الزمانية من شأنها أن تثير في الذهن دلالتين:

الأولى: إن وقت المساء هو أنسب وأفضل الأوقات لاختلاق مثل هذه الكذبة- كما تصور ذلك إخوة يوسف- على اعتبار أن الليل بظلمته وتغطيته للأشياء يساعد كثيراً على إخفاء معالم الجريمة وآثارها، تلك المعالم التي لا بد وأن تظهر واضحة على وجه المجرم في وضح النهار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تعيين هذا الوقت من شأنه أيضاً أن يقنع القارئ بكون ما ادعوه ملفقاً لا حقيقة له- كما أدرك ذلك يعقوب عليه السلام نفسه- عندما أجاب قائلاً: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

فإن مثل هذه الحادثة الخطيرة الهامة لا تحتمل التأخير في الإخبار عنها، فلو كان إخوة يوسف عليه السلام صادقين حقاً فيما قالوه لبادروا إلى إخبار والدهم بمجرد وقوع تلك الحادثة- على فرض صحتها- لا أن ينتظروا كل هذه المدة الطويلة الممتدة من الصباح حتى المساء!! [١].

الخصيصة الثانية:

نجد في القصة القرآنية أن جزيئات الزمن قد لعبت دوراً هاماً في إنشاء محتوى القصة، قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[يوسف: ٤٢].

(فتعيين المحنة التي مرّ بها يوسف عليه السلام ، بسبب استقامته وسلوكه النزيه، هذه المحنة التي لم تترك أي تأثير على هذه الاستقامة والنزاهة، بل زادتها قوة ورسوخاً رغم عظم المحنة وتوالي المآسي)[٢].

فقد كان داعية إلى الله بين أصحابه في السجن، يكشف لهم الطريق إلى الخالق، ويزيل عن قلوبهم الضلال والكفر، فتكشف عن معدن هذا النبي العظيم وما في نفسه من قوة وإيمان وصبر على الابتلاء.

١- القصص القرآني رؤية فنية، د. فالح الربيعي ص٥٦-٥٧، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص٨٤. وراجع تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب.

٢- القصص القرآني، د. فالح الربيعي، ص٥٧.

إن للزمن دلالات تطل من ملامح الحدث، وتظهر على سمائه، وتتحرك بتحركه.

ولم يخرج القرآن في قصصه عن هذا الأسلوب حتى في الحدث الكبير الذي يمكن أن تعرض أجزاؤه مستقلاً بعضها عن بعض، ليتمكن أن يقدم فيه جزءاً مستصحباً معه زمنه في أي وضع يأخذه، من غير نظر إلى الترتيب الطبيعي لتتابع هذه الأجزاء[1].

ففي سورة آل عمران، تذكر قصة مريم، وقد جمعت أكثر من حدث، في سلسلة من الحلقات، متدرجة مع الزمن سيراً إلى الأمام، وذلك على الوجه الآتي:

١. آل عمران وقد اصطفاهم الله سبحانه فيمن اصطفى من عباده: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣].

٢- امرأة عمران "أم مريم" وقد نذرت لله ما في بطنها ليكون في خدمة بيت الله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٥- ٣٦].

٣- ثم ها هي ذي مريم تدرج في مدارج الكمال، وتنشَّأ على البر والتقوى، ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا

١- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب ،ص٨٧.

دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

٤- ثم هذا فضل الله يطرق مريم، فيجيئها البِشْر السماوي بأنها ستحمل غلاماً زكياً اسمه المسيح عيسى بن مريم: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

ثم ها هو ذا المسيح يطلع على الدنيا حاملاً هذا النور في قلبه، وفي فمه، وفي لسانه، وبين يديه، ومن خلفه، ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وهكذا نرى التسلسل الزمني يجري مع الأحداث، أو بمعنى أدق يدفع هذه الأحداث الكبار على ترتيب تصاعدي: الأجداد، فالآباء، فالأبناء!!.

وهذا ما جرى عليه القصص القرآني كله[1]، إنه يسلك بالزمن مسلك التدرج في تتابع أحداثه إلا في موضع واحد، هو في قصة البقرة، التي لم تذكر في القرآن الكريم أكثر من مرة واحدة، ففي قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمرهم الله بذبحها، تأتي الأحداث على غير الترتيب الطبيعي لها في زمنها، (فالله سبحانه

١- المرجع السابق.

تعالى بدأ في هذه القصة بذكر الشطر الثاني منها، مع تأخير الشطر الأول، وذلك أن العناية إلى ناحية الحوار في أمر البقرة ولونها وصفاتها الأخرى)[١].

ويبدأ الحوار عندما قُتل فيهم قتيل، ثم اختلفوا فيمن قتله، فطلبوا من موسى أن يأتيهم بمعجزة تكشف القاتل، وجاءهم النبي بمعجزة تسخر منهم وتستخف بعقولهم، فدعاهم إلى أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعض لحمها، فيصحو القتيل وينطق باسم قاتله.

واستبد بهم الضلال، فأبوا أن يروا البقرة التي أُمروا بذبحها إلا أن تكون على حال وأوصاف على غير تلك الأحوال والأوصاف المعهودة في عالم البقر، وإلا فلن يصح أن تحمل أي بقرة معجزة أو تتحملها[٢].

وفي هذه القصة يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا

١- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه ،ص٦١.

٢- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب ،ص٨٨-٨٩ بتصرف.

مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[البقرة: ٦٧ – ٧١].

ثم ختم الله القصة بما كان في واقع الأمر بدءاً لها: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ٧٢-٧٣].

هذا هو ختام القصة، وكان من حقه أن يكون بدءاً، لو أن القوم كانوا من الناس وعلى طبيعة الناس، لا كما هم عليه بنو إسرائيل قاتلهم الله وشردهم!!.

الخصيصة الثالثة:

أما الخصيصة الثالثة للزمن في القصة القرآنية: فهي أن زمنها متعلق دائماً بالماضي البعيد ما دام القصص عن أخبار الأنبياء عليهم السلام مع الأمم الزائلة.

يتضح مما سبق أن الزمان يحتل في القصة القرآنية المرتبة الأولى في تركيبة القصة (بعد عنصر الشخصية والحدث)، وهو ضروري في سير الأحداث ونموها متدرجة إلى النهاية الطبيعية للحدث، كما يسهم في منح الحدث المدلول والإيحاء الذي يغني القصة بالهدف والعظة الهادفة.

ب- أما المكان في القصة القرآنية: فيعتبر من العناصر التي أولتها القصة القرآنية أهمية بالغة، لما له من تأثير كبير في ترسيخ مفهوم القصة، ووضع الأحداث في بيئة مناسبة لها، ولكنه يجيء في المنزلة الثانية بعد الزمن، لما للزمن من تأثير مباشر في الحدث ونموه.

أما المكان فليس له هذا التأثير الكبير في نمو الحدث وتفاعله وتطوره، إلا إذا كان لهذا المكان طبيعة خاصة يتأثر بها الحدث، ويساعد على مساره، أو يحقق العظة والعبرة منه.

وأبرز مكان منح للحدث نراه في إسراء الرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

فبين هذين المكانين " المسجدين أو البلدين الحرامين" كان مسرى الرسول ﷺ، أما الليل فهو الزمن الذي تم فيه حدث الإسراء، وبهذا يتحدد الحدث بصورة أوضح لتفاعل عنصر الزمان والمكان مع الحدث.

فلو لم يكن للمكان هنا هذه الأهمية والخصوصية البالغة، لما اهتم القرآن الكريم بذكره، كما هو عليه في (قصة أصحاب الكهف) فلم يذكر القرآن الكريم تحديد المكان، بل نلمح ظلاله في ثنايا القصة القرآنية، فيشارك في تحديد أبعاد

الحدث، ويساعد على نموه وتطوره، بشكل طفيف (نلمح طيفه في عزلة هؤلاء الفتية في الكهف بعيدين عن قومهم وما يعبدون من دون الله، حتى سنحت لهم الفرصة للهرب إلى بلد آخر، فيكون سباتهم في هذا الكهف إلى أن يستيقظوا من بعد نومة طويلة ثم يبعثون أحدهم إلى المدينة ليحضر لهم الطعام)، وهكذا نلمح المكان كمساعد ثانوي في تنمية الحدث وتطوره.

وقد يُذكر المكان ذكراً محدداً، كمصر، ومدين، والطور، والأحقاف، وهنا يكون لهذا الذكر داعية في تكوين الحدث القصصي بلون خاص، فتبرز فيه من ملامح وآثار، تقوي من دواعي العبرة والعظة التي يحملها، وبهذا يظهر دور المكان.

ونذكر لهذا مثلاً في قصة يوسف، نحدد المكان الي حُمل إليه يوسف، وأنه مصر.

وفي هذا ما يشير إلى تلك الغربة النائية التي فصلت بين يوسف وأهله، فأين أرض كنعان بالشام، حيث أبوه وأهله، من أرض مصر التي استقر فيها؟!.

ومن أهمية ذكر المكان (مصر) أنه سيكون مسرحاً لسير الأحداث وأهمها (حلم المَلِك) وتأويل يوسف له، ثم قيام يوسف على تدبير شؤون الحياة في مصر خلال تلك الأزمة العصيبة، ثم مجيء يعقوب وبنيه آخر الأمر إلى مصر، والتي

انتهى أمرهم فيها إلى يد فرعون، الذي أخذهم بالبأساء والضراء حتى بعث الله موسى عليه السلام لاستنقاذهم من يده [١].

ومن هنا كان لعنصر الزمان والمكان دور بارز في بناء الحدث وسيره وتطوره ونموه في القصة القرآنية، فكان (الإعجاز القرآني) في احتفاظ القرآن الكريم لهما في قصصه بأعدل مكان وأنسبه وأهمه لسير الحدث وتحديد العظة والعبرة منه.

أما في القصة الأدبية، فإن القدر الذي يشتمل عليه عنصر الزمان والمكان مرهون بالأحداث ذاتها، وبمدى رغبة الكاتب في تلوين قصته بهما، وإبداعاته في تأثيرهما على سير الحدث وتطوره، حسب ما يقتضيه الحال في قصته، وهذا يتفاوت بين كاتب وقدرة كاتب آخر.

٤- **الشخصية:** تحرص القصة القرآنية في بعض الأحيان على إبراز أشخاصها بأسمائهم أو هيئاتهم، أو تبرز الأماكن كذلك بأسمائها أو صفاتها، وفي بعض الأحيان تحمل ذلك أو تجاوزه فلا تذكر شيئاً منه، فهي ليست رواية تاريخية لا بد لها من السرد الكامل، والتحديد الواضح للأشخاص والأماكن.

إنما هي قصة ذات هدف، تأخذ الأحداث الجانب الذي يحقق لها الغاية ويصل بها إلى الهدف، فإن كان ذلك يتحقق من خلال التعرف على اسم الشخص

١- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص٩٢-٩٥ بتصرف.

ذكر اسمه، وإن كان يتحقق من خلال التعرف على سجاياه وصفاته، عرف بها وترك ما عدا ذلك.

ونؤيد هذا القول بأمثلة قصصية من القرآن الكريم، نرى أن قصة أصحاب الكهف لم تتعرض لأسماء أحد من أشخاصها، سواء في ذلك أصحاب الكهف وقومهم، ما ذلك إلا لأن الغاية من القصة لا تحتاج إلى إظهار ذلك قدر احتياجها إلى تبيين صفاتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[الكهف: ١٣].

أما في قصة مريم عليها السلام التي ذكرت في سورة آل عمران، فنجد الأمر على العكس، فالأسماء تُذكر حتى أسماء من يبشر بولادتهم، فامرأة عمران تنذر ما في بطنها، فإذا ولدته كان (مريم)، فإذا كفلت (مريم) كان الكافل (زكريا) الذي يستجيب لدعائه فيبشر (بيحيى)، ثم تبشر مريم (بعيسى).

وفي قصة ابني آدم تترك تسميتها للأشخاص، ويسمى الطائر، كما في قصة سليمان، فهو في الأولى (غراب)، والثانية(هدهد)[1].

١- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، والدكتور حسن عون،ص١٥٣-١٥٤.

والقرآن الكريم في هذا يختلف عن القصص الذي يكتبه المؤلفون الذي يحيك فيه القاصّ من خياله شخصية قصته، ويلوّنها بإبداعاته وتخيلاته، ويضيف إليها من أفكاره فيخلقها من جديد كما يريد، وكما يقتضيه الحدث في قصته.

أما أسماء شخصيات الكاتب فهي مستعارة، وليست حقيقية يطلقها على شخصياته، مما يضعف إحساس المتلقي بواقعية الشخصية، وفي الدور الذي تقوم به، والهدف الذي ترمي إليه.

أما البطل الحقيقي في قصص القرآن ليس هو هذا الإنسان بذاته الذي تدور به أو من حوله أحداث وسلوكه، البطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر صحيحة الآثار في الجماعة التي يعبر عنها، أو التي يعارضها، البطل مثلاً ليس يعقوب وأولاده، وإنما هو "الهداية" في يعقوب، و"الردة" في أولاده، البطل ليس هو يوسف وصاحبته، وإنما هو الطهارة والأمانة في يوسف، والشهوة والغريزة في صاحبته.

وهكذا في مختلف المواقف يكون الإنسان بهداية الإيمان أو ضلالة الكفر رمزاً لقانون يحكم، وينطق فيه.

البطل في منهج قصص القرآن هو الأسوة لغيره، وهو القدوة لمن يقتدي، لأنه أعطى برهان القانون التاريخي في قوله وعمله على أن الإيمان هو الطريق الصحيح لمسيرة البشر نحو هدف جماعي، وتقدم علمي، ونصر محقق[١].

لقد ذكر القرآن الكريم في قصصه (أسماء الأنبياء) و(أسماء أعداء الأنبياء) الذين عارضوا دعوة السماء وتحدّوا بعنادهم وكفرهم، كفرعون، وهامان، وقارون، وجالوت، والسامريّ.

ولهذا التأكيد على وجود الشخصيات بذكر أسمائهم، أثر بليغ في أحداث القصة القرآنية، ولنضرب مثالاً على ذلك: يوسف عليه السلام، وقصته مع امرأة العزيز، والتي سنتطرق إليها في مباحث أخرى، بالتحليل لدور المرأة في قصص القرآن، أما هنا فنؤكد على مدى الترابط الوثيق بين الشخص والحدث في القصص القرآني، حيث تظل شخصية يوسف كما هي على الوجه الذي تطالعنا به من أول القصة وحتى نهايتها، دون أن تتغير ملامحها وسماتها.

أما الشخصية في القصة التاريخية فيصحبنا شعور دائم بأنَّ الكاتب لوّن بخياله أشخاصه، وأحداثه، لذا فلا تكون على حال واحد بل تهتز وتتغاير وجوهها وشخصياتها.

١- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، ص٢١٢-٢١٣.

وهناك شخصيات لم يذكر القرآن الكريم اسمها (ذو القرنين) وهو من الملوك المؤمنين الدين أشار الله إليهم بصفة تدل عليه، من صفات بداوته وهي (قرونه) أي جدائله بلغة البدو وعلى طريقة مظهرهم، حيث كان من عاداتهم أن يرسلوا من شعورهم جديلتين تجملاً من جانب، وتوقياً لضربات السيوف من جانب آخر (حسب اعتقادهم).

وقد أشار جرجي زيدان في كتابه (العرب قبل الإسلام): أن هذا الملك العربي (ذو القرنين) هو الملك الحميري "شمر يهرعش" والذي وطئ أرض العجم -فارس وخراسان - وافتتح مدائنها، وبنى مدينة "سمرقند"، ولا تزال حتى اليوم تحمل اسمه[١].

وهناك شخصيات لم يذكر القرآن اسمها، ولم يكشف عن وظيفتها الاجتماعية في الحياة، بل اكتفى بذكر صفتها مثل قوله تعالى في صاحب موسى، وهو الخضر عليه السلام: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وقوله سبحانه وتعالى في ذلك الرجل المؤمن من قوم فرعون، والذي كان لساناً من ألسنة الحق في نصرة موسى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر: ٢٨]، وكقوله سبحانه في صاحب سليمان الذي جاءه بعرش ملكة

١- قصص القرآن الكريم في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، ص٢٢٠.

سبأ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠].

وبهذا لا يتعرض الغرض بذات الشخصية أو بوظيفتها الاجتماعية، وإنما فيما يشتمل عليه كيان الشخصية من قوى، وما لهذه القوى من أثر في مجرى الحدث الذي تعرضه القصة.

فالشيخ محمود شلتوت[1]: يفرق بين الأمثال المضروبة لمجرد التمثيل من غير تحديد أشخاص وأماكن، والأمثال المضروبة وفيها أشخاص وأماكن مذكورة بأعيانها وأوصافها، فيرى أن الأمثال المضروبة لمجرد التمثيل المطلق يجوز أن نعتقد بأنها تقريب من الله وتمثيل، وأن أحداثها لم تقع مثل قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ ﴾ [النحل: ٧٦].

١- ورد في القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص٩٩-١٠٠.

هذا بخلاف قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾ التحريم: ١٠، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [التحريم: ١١].

فالمثل هنا ليس من قبيل التمثيل، وإنما هو تمثيل بناحية حقيقية وجدت في شخص واقعي يُراد به لفت النظر إلى الناحية والاعتبار بها، إما خيراً أو شراً.

لقد رأى الخطيب (بأن الله سبحانه وتعالى يقرّ بواقعية كل كلمة جاء بها "رجل" أو " رجلين" أو "امرأة" أو " قرية" من أمثال القرآن، وأنها تدل على ذات مشخصة عاشت هذ الدنيا، وأنها وجُدت فعلاً، وأنها كانت على الوصف الذي وصفها القرآن الكريم به).

وأضيف إلى ذلك أن القصة القرآنية لا تحتاج إلى خيال ولا يداخلها، إذ إنها تتسم بالصدق الذي يلون صورها وجمالياتها الفنية، دون أن يبعدها عن جادة الصواب والواقع والحقيقة، التي تنقلها إلى الهدف منها والاتعاظ بعظاتها، فلذا إن أية محاولة في إثبات وجود أمثلة خيالية في القصة القرآنية لا مكانة لها في واقع الأمر، فالقرآن حق، وقصصه حق، وشخوصه وأماكنه وزمانه حق، ومن هنا كانت العبرة والعظة بما فيه أعظم حقاً، يحق بها الله تعالى عباده.

وقد يعرض القرآن بعض الشخصيات مجردة من صفاتها، لوجود قرينة تدل عليها، مثل (رجل)، فهذه الشخصيات النكرات لا تدعو الضرورة في الأحداث إلى التعريف بها وبصفاتها أو بأسمائها، ويكثر هذا في الأمثال التي يضربها الله تعالى لشرح حقيقة أو توضيح قضية تمثل الجنس كله.

فهذه الشخصيات النكرات لا تدعو ضرورة إلى تعريفها، لأنها لا تؤدي دورها في الحدث القصصي هنا باعتبارات خاصة مميزة لها، وإنما هي مثل عام لجنسها كله، في صلاحيته للقيام بهذا الدور.

ومن هنا تكون عمومية المثل، وصلاحيته الشاملة لجميع أفراد الجنس فيما ضرب له، وسيق من أجله، فالقرية الآمنة المطمئنة التي يسوق الله تعالى إليها الرزق من كل مكان، ثم جحدت بأنعم الله، فيذيقها الله لباس الجوع والخوف، هذه القرية هي مثل لجميع الأفراد والجماعات والأمم، وهذان رجلان أيضاً، أحدهما أبكم مغلق المشاعر والعواطف والمدارك، لا يفتح فمه بخير، وإنه مثل لكل إنسان منطوٍ على نفسه، لا يحس بالحياة من حوله، ولا يشعر الناس ولا الحياة بوجوده، أما الآخر فهو إنسان يشعر بالناس من حوله، ويقيم بينه وبينهم موازين الحق والعدل، إنه مثل لكل إنسان حي عامل في الحياة، سالك مسالك الاستقامة، فهل يستوي الرجلان مكانة على موازين الرجال؟ ذلك ما لا يكون[1].

١- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص١٠٠-١٠١.

وهكذا نجد أن الله تعالى ذكر في قصص القرآن الكريم "أسماء الأنبياء" وأظهر من خلالها قانون الدعوة إلى الله والهداية والحق، وأشار إلى المؤمنين الذين استجابوا للدعوة بأعمالهم، فذكرهم في جموعهم تحت اسم "المؤمنين" أو " الذين آمنوا" يجاهدون في سبيل الله تصديقاً بكتبه ورسله وبعثه وحسابه.

وفي المقابل جسدت قصص القرآن الكريم: أسماء أعداء الأنبياء والكافرين الذين عادوا الله ورسوله من خلال قانون الغواية المتمثلة بطاعتهم لوسوسة الشيطان وغواية إبليس.

هذا القانون النشط في الإنسان يحمل في لغة القرآن وقصصه هذا الاسم الجامع لصفاته الفاعلة باتجاه الغواية وهو "إبليس" و"الشيطان"، وهما كلمتان عربيتان قديمتان قدم المهمة التي ينهض بها الشيطان في ابتلاء البشر[١].

١- **إبليس:** كلمة عربية من " الإبلاس" أي التحير، والمبلس هو المتحير، وإبليس بذلك هو في صميم عمله صانع هذه الحيرة، أو هذا الإبلاس في نفس الإنسان كلما واجهه الاختيار بين طريقتين، وهي- أي هذه الحيرة- لحظة الضعف القاتلة التي يتاح فيها لإبليس أن ينفث غوايته ليختار المتحير به أقرب الطريقتين إلى البعد عن الصواب!.

-**الشيطان**: كلمة عربية من "الشطن" وهو الحبل الطويل الذي يلقى به في أغوار البئر لرفع الماء به، وشطن الدلو: شده بهذا الحبل، وشطن الرجل صاحبه: خالفه عن نيته. ومن جملة هذه المعاني يكون معنى الشيطان أنه هذا الوسواس الذي ينزل به قانون الغواية في حياة الإنسان وفي نفسه لكي يشطنه أي يجذبه من أغوار نفسه إلى ما يخالف به نيته وفطرته في الصواب، وفي اختيار الأفضل وهو الإيمان، وأعمال الإيمان. (هذا ما ورد في قصص القرآن لأحمد موسى سالم، ص ٢٢٣).

وقد وردتا في قصص القرآن بالمعنى السلبي في إرادة الإنسان.

هذا القصص القرآني الحق بكل عناصره وخصائصه الفنية التي تجعله في قلب الدعوة السماوية نوراً يخلص إلى تحقيق العظة والعبرة من الحدث، بعيداً عن إثارة غرائز القارئ أو خياله، مع أن القصص القرآني يحتوي على المتعة الأدبية والفنية بشكل أرقى وأعمق مما هي عليه القصص الأدبية الأخرى.

وفي مناسبة ذكر الأسماء والصفات في قصص القرآن الكريم، فقد تناول في بعض قصصه (المرأة)، كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص، حيث تأخذ المرأة مكانتها في القصص القرآني كإنسان، وكامرأة معاً، ولهذا فإننا نشاهدها في الحدث القصصي تمثل كل نشاط إنساني يجسد دورها الأنثوي من زوايا عديدة واتجاهات مختلفة، ومنها السلبية ومنها الإيجابية.

فامرأة فرعون: (في قصة موسى وفرعون) لم يذكر القرآن الكريم اسمها، ولكن ذكر صفاتها التي تمثل جنس المرأة، فقد جسدها كإنسان عاقل رشيد يزن الأمور بمنطق الفطرة والعقل فيميل إلى مواطن الخير، شأنها شأن الرجل العاقل من آل فرعون، الذي انتصر بميله الفطري الخيّر على الشر الذي يتمثل بالطاغية فرعون، فخرج عن سلطانه ودخل في دين الله كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر: ٢٨]، وكان لميلها الفطري الخيّر الذي جعلها تهتدي إلى نور الإيمان قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ

مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١]، كما جسد القصص القرآني عاطفة الأمومة التي تتمثل في كل امرأة بالفطرة، فمثلت هذه الآيات الكريمة الحنان الأنثوي والعطف السامي في الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [القصص: ٩ – ١٠].

كما ذكر سبحانه وتعالى ما كان لامرأة العزيز من شأن (في قصة يوسف) وأوردها مرة بعنوان: "امرأة العزيز"، ومرة بعنوان: " التي هو في بيتها"، كما أظهر ضعف المرأة أمام عاطفة الحب، حتى إنها لتندفع أحياناً وراء غرائزها وعواطفها ﴿ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ ﴾ يوسف: ٢٣، وذكر "امرأة نوح وامرأة لوط"، وضربهما مثلاً للمرأة المنحرفة عن طاعة الله، رغم أنهما في بيت النبوة، ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

وجسد حياء المرأة الطبيعي والخجل اللطيف الذي يتجلى على وجه ابنتي الرجل الصالح: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص: ٢٥].

كما جسد القصص القرآني تقدير المرأة لرجولة الرجل الكامل، والتي تتمثل بأمانته وشدة مقاومته، ومحافظته على كرامة المرأة: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

كما صور القصص القرآني المرأة وهي في مكان الصدارة الدولية والقيادية، امرأة ذات سلطان وجاه، ويتمثل ذلك في "ملكة سبأ"، وما كان بينها وبين سليمان مما ورد في (قصة الهدهد) إذ يقول ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: ٢٣].

إذاً فالمرأة تمثل جزءاً من واقع الحياة مع الرجل، وتدور حولها محور أحداث القصة، لذا فإن اسم المرأة مثل اسم الرجل، لا يصرّح بالاسم، بل تارة يذكر بالصفة، وتارة يذكر بالفكرة المجردة بحسب ما يدعو إليه جو القصة، وحسب مقتضى الحال.

إذاً فالمرأة عنصر أصيل في القصة القرآنية، كما هو عليه الرجل، حيث تظهر بأدوار مختلفة في الحياة كما رأينا، أكانت أدواراً خيرة أم أدواراً شريرة.

وسوف نتوسع في الشرح والتفصيل والدراسة التطبيقية والتحليلية حول أدوار المرأة في القصة القرآنية لتمثيل جنسها في تحقيق العظة والعبرة من القصة في مباحث أخرى.

٥- **الحوار**: في القصص القرآني دعامة أساسية في القصة لها دورها العام في سير الحدث ونموه وتحقيق العظة والعبرة في القصة القرآنية، والحوار في القصص القرآني خاصة والقرآن عامة يجري في مستوى رفيع من الألفاظ والمعاني والمغزى، ويكشف من خلالها الله تعالى خبايا النفوس وما تطويه الصدور من الخير أو الشر.

وللحوار سمة خاصة في القصص القرآني، لا نجد له أثراً في القصص الأدبي على الإطلاق، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار للشخصيات، مما ينقلنا إلى إحساسنا بواقعية الشخصيات، وبوجودها وبمنطقها وتفكيرها، ودورها في الموقف والحدث، وبأسلوبها التي تعبر فيه عن الموقف، دون أن نستشعر أن ملقناً يوجهها بكلمات، أو يحركها بحركات.

على حين لا نجد هذا الشعور واضحاً في أكثر القصص الأدبية، حيث نرى الأشخاص يتحدثون ويتحركون كما يريد الكاتب.

ولعل أوضح مثال لهذه المفارقة، الحديث الذي حكاه القرآن الكريم على لسان الهدهد في موقفه مع سليمان، حيث لا نشعر أمام حوار مع حيوان أعجم،

بل يشعرنا الحوار بأن هذا الحيوان قد نطق فعلاً بهذه الكلمات الصادقة، والتي تصور مشاعره ومدركاته تصويراً صادقاً وعن علم ووعي: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٢ – ٢٤].

لذا كان الحوار القصصي القرآني ذا أُثر عميق في إحياء مشاهد الحدث القصصي، والتأثير بالكلمة التي تحمل المشاعر الحية النابضة، بالأحاسيس والمشاعر، فيجعلنا نرى وراء الكلمة أصحابها، بخلجاتهم ونبراتهم وآثارهم.

ولنستمع إلى هذه المناجاة بين الله سبحانه وتعالى وعبده موسى عليه السلام ، وما حملته من كلمات الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون، في قوله:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[الشعراء: ١٠ – ١٩].

فهذه مريم، وقد جاءها من ربها من يبشرها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فتتلقى هذه البشرى في جزع وفي استنكار، إذ من أين لها بالولد، ولم يمسسها بشر؟ ولا يجيبها البشير بأكثر من أن ذلك هو ما قاله الله، وأنه هين عليه، فها هي ذي مريم تحمل، ثم تضع وليدها، ولأنها حملت به ووضعته في نفس الوقت الأمر الذي حمل بعض المفسرين على القول بأن الحمل والولادة كانا في يوم واحد!!.

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[مريم: ١٦ – ٢٣].

إن حبكة الحوار، واختيار الكلمات المناسبة لكل حال يتلبس بها المتحاوران هو الذي يبعث الحياة والحركة في القصة، وهو الذي يجعل للكلمات دلالة ذاتية

تستغني بها عن التشخيص والتمثيل، وعن تهيئة الجو المناسب للحركة المسرحية التي تنقل الأحداث وتجسمها.

وليس في القصص الأدبي أن تقوم الكلمات مستغنية عن التشخيص والتمثيل، إذا أريد لها أن تدل على وجودها، وأن تفصح عن مضمونها، ولكن القصص القرآني يؤدي بكلماته ما لا يؤديه التشخيص والتجسيم والتمثيل[١].

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة للحوار المركز المضغوط الذي يحمل في كلمات قليلة عناصر قصة كاملة، ونكتفي بما سردناه من حبكة الحوار في القصص القرآني، ما يدل على إعجاز القرآن الكريم في قصصه، تعجز عنه القصة الأدبية.

١- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، ص١٤٠-١٤١.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

في نهاية هذا البحث الذي تخصّص في دراسة " الفن الأدبي في القصة القرآنية " نستطيع أن نختم هذا البحث بالنتائج الآتية [١] :

أولاً: إن أدب القصة القرآنية وبلاغتها يشمل اللفظ والمعنى كليهما.

ثانياً: إن القصة القرآنية تهدف إلى غرض نبيل وهو إصلاح البشر وهداية الناس إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وهذا لا يوجد في القصة الفنية البشرية إلا لماماً .

ثالثاً: القصة القرآنية ترشد إلى أسباب الهلاك والدمار للإنسان سواء كانت في العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق والسلوك، أو في المعاملات. والقصة الفنية لاتتعرض لهذه الجوانب .

رابعاً: أن ما ذُكر في القصص القرآني من تاريخ البشر وأحوال الأمم الماضية من حيث السعادة والشقاوة والنجاة والعذاب صادق وحق ليس فيه زيادة ولا نقصان، ولا يوجد فيه شائبة الكذب أصلاً، ولا يتصور هذا في قصص البشر.

---

(١) – انظر : مقال بعنوان" أدب القصة القرآنية " للدكتور صاحب إسلام ، منشور في مجلة الإيضاح ، ٢٠١١م.

خامساً: إذا أخذنا القصة القرآنية من جميع هذه الجوانب السابقة نتوصل إلى معرفة إعجازها، وهذه ميزة عجزت عنها القصة الفنية البشرية، وبالتالي نعترف ونشهد بأن كلام البشر ليس ككلام الله سبحانه وتعالى.

فهرس المصادر والمراجع

١. إعجاز القرين والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ط٩، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد مصطفى، و د.حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٨١م.

٣. بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ،١٩٧٢م.

٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢ ،١٩٧٢م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، بدون تاريخ.

٦. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٩م، ومكتبة الهلال، ط٥، بيروت،١٩٤٧م.

٧. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، بدون تاريخ.

٨. تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠. تفسير الجلالين، جلال الدين بن محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١١. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
١٢. التفسير الكبير، الفخر الرازي، المطبعة الهندية العصرية، ط١، ١٩٣٥م.
١٣. تيسير المنان في قصص القرآن، أحمد فريد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٤. دراسات في كتاب الله تعالى، محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي، مجلة البعث الإسلامي، المجلد (٤٨)، العدد(١٠)، مؤسسةالصحافة والنشر، ندوة العلماء، الهند، ١٤٢٤هـ.
١٥. الدعوة إلى الله في الميادين الثلاثة، محمد حامد الغامدي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
١٦. السيرة النبوية، محمد بن عبد الملك بن هشام، طبع البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٠م.
١٧. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، طبعة ١٩٧٤.
١٨. شرح المعلقات السبع، أبو عبد الله الحسين الزوزني، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.
١٩. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت:د. مصفى البغا، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٢٠. صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، ط٣.
٢١. صفوة البيان لمعاني القرآن (تفسير الشيخ حسين مخلوف)، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط٦، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٢. علوم القرآن، د. عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، دمشق ،ط١، ١٩٨١م.
٢٣. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، سينا للنشر، ط٤، ١٩٩٩م.
٢٤. الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٥. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، المكتبة التجارية الكبرى، ط٥، بدون تاريخ.
٢٦. القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٧. قصص الأنبياء والمرسلين، محمد متولى الشعراوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٨. قصص العرب، محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.

٢٩. قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٠. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، د. عبد الكريم الخطيب، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٣١. القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط ١، ١٩٨٧م.

٣٢. القصص القرآني، د. فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٣. القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير، بدون تاريخ.

٣٤. الكشاف (تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ١٤٠٦هـ.

٣٥. لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، دار المعارف، ١٩٧٤م.

٣٦. مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٠١- ١٩٨١م.

٣٧. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، ت :د. قصي الحسيني، دار الشمال، لبنان، ١٩٩٠م.

٣٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ .

٣٩. مختصر سيرة الرسول ﷺ ، محمد بن عبد الوهاب، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

٤٠. المرأة في القصص القرآني، د. أحمد محمد الشرقاوي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ١٩٥٦م.

٤١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ،المطبعة العثمانية، ١٣١٢هـ.

٤٢. مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط٨، ١٩٩٣.

٤٣. معجم مجمع الأمثال، الميداني، ت: محي الدين عبد الحميد، المطبعة السنية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٤٤. مفاهيم جغرافية في القصص القرآني، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، دار الشروق، السعودية، ط١، ١٤٠١-١٩٨١م.

٤٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .

٤٦. منهج الإسلام في النقد الأدبي، د. سيد عبد الرزاق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٧. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار العلم، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م.

٤٨. منهج الفن المنهج الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، بيروت.

٤٩. منهج القصة في القرآن، محمد شديد، شركة عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٠. نظرات في أحسن القصص، د. محمد السيد الوكيل، دار القلم، سوريا، ط ١، ١٤١٥هـ.

٥١. نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي السقا، دار الكتب الحديثة،ط٥.

٥٢. النهج القويم في دراسة علوم القرآن الكريم، د. عبد الغني عوض الراجحي، طبعة البابي الحلبي، بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

مقدمة		٥
➢ **الفصل الأول: مفهوم القصة، نشأتها، غايتها.**		٩
المبحث الأول :القصة: معناها اللغوي والاصطلاحي، ومفهومها القرآني		١١
المبحث الثاني: القصة في فم الإنسان الأول		٣٤
المبحث الثالث: القصة العربية في العصر الجاهلي		٣٦
المبحث الرابع: القصة طريق إلى العلم والدين عند الإنسان الأول		٤٢
➢ **الفصل الثاني: في ملامح القصة القرآنية ودورها في الدعوة**		٤٧
المبحث الأول : مفهوم القصة القرآنية		٤٩
المبحث الثاني :دور القصة القرآنية في الدعوة الإسلامية		٥٣
المبحث الثالث: المزايا التي أكدت على أهيمة القصة في الدعوة الإسلامية		٥٧
المبحث الرابع: الخصائص العامة للقصة القرآنية		٦٠
➢ **الفصل الثالث: دراسات أدبية وتربوية في القصة القرآنية**		٧٧
المبحث الأول: أهداف القصة القرآنية وأغراضها		٧٩
المبحث الثاني: الميزات الفنية لأسلوب القصة القرآنية		٨٧
المبحث الثالث: أنواع القصة القرآنية		١٠١
المبحث الرابع: عناصر القصة القرآنية مقارنة بالقصة البشرية		١٠٣
الخاتمة		١٣٣
فهرس المصادر والمراجع		١٣٥